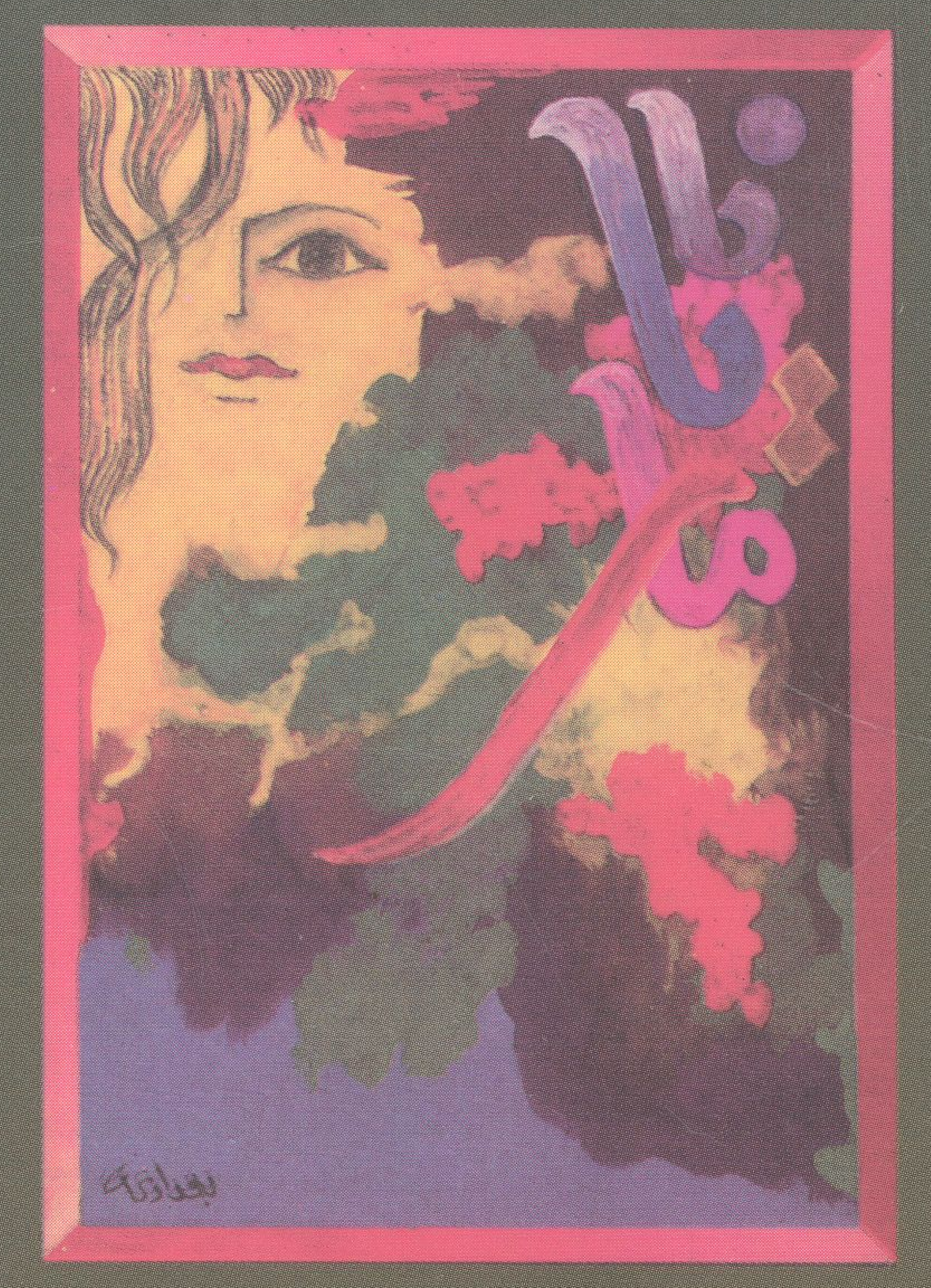
المركز القومى للترجمة

حتى تمضى خمس سنوات
(أسطورة الزمن)
و
ماريانا بينيدا

الطبعة الثانية

من مسرح لوركا



2/58

تأليف: فيدريكو غرسية لوركا
ترجمة: محمد أبو العطا

المشروع القومى للترجمة

حتى تمضي خمس سنوات

"أسطورة الزمن"

و

ماريانا بينيدا

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٥٨/ ٢
- حتى تمضى خمس سنوات "أسطورة الزمن"، وماريانا بينيدا
- فيديريكو غرسية لوركا
- محمد أبو العطا
- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة كاملة لمسرحيتى:

Asi que pasen cinco aúos

y

Mariana Pineda

Por: Federico García Lorca

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦

فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo

e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526

Fax: 27354554

حتى تمضي خمس سنوات

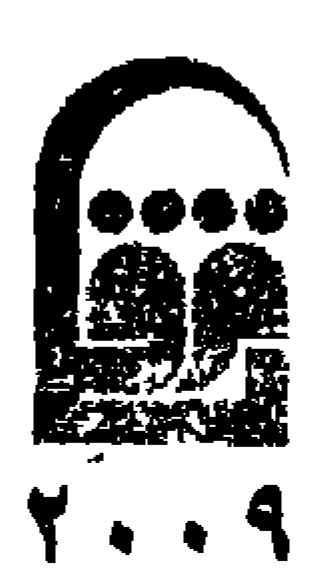
(أسطورة الزمن)

و

ماريانا بينيدا

تأليـــــــف: فيديريكو غرسية لوركا

ترجمـــــــة: محمد أبو العطـــــا



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١٠٣١٠ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولي: 9 - 256 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تصدير

وضع القائمون على المجلس الأعلى للثقافة نصب أعينهم منذ بداية التفكير فى إحياء الذكرى المئوية الأولى لمولد أشهر شعراء إسبانيا فى عالمنا العربى " فيديريكو غرسية لوركا " مشروعا طموحا تطلع إلى نشر أعمال الشاعر كاملة فى مختلف أجناسها الأدبية بالعربية .

وقد تحقق بالفعل قدر كبير من هذا المشروع الطموح بترجمة ونشر أعماله الشعرية الكاملة اضطلع بترجمتها : محمود على مكى ، وكاتب هذه السطور ، أما ديوانه " شاعرفى نيويورك " فقد ترجمه : ماهر البطوطى : وأعماله النثرية الكاملة ، قيد الترجمة والإعداد .

أما فيما يتعلق بمسرح لوركا فقد توفر على ترجمته فى مصر مجموعة من كبار الأساتذة ، ومنهم : عبد الرحمن بدوى ، وحسين مؤنس ، و محمود على مكى ، وأحمد عبد العزيز ، وقد نشرت ترجماتهم جميعا ، البعض منها فى سلسلة المسرح العالمى ، والبعض الآخر فى دور نشر أخرى ...

إلا أن حركة ترجمة مسرح لوركا فى مصر لم تلتفت ، على الرغم من الجهد الكبير ، إلى عملين أساسيين يعدان من العلامات البارزة فى تطور مسرح لوركا ، وهما : " حتى تمضى خمس سنوات : ، و " ماريانا بينيدا " ، وقد قام على ترجمتهما إلى العربية ، استكمالا لمشروع الأعمال المسرحية الكاملة الزميل د. محمد أبو العطاء .

بيد أنه حال دون إصدار طبعة الأعمال المسرحية الكاملة إجراءات الحصول على موافقة الجهات الناشرة ؛ فاكتفينا فى الوقت الراهن بنشر هذين العملين ، ونعد القارئ بنشر مالم ننشره فى أقرب وقت ممكن بعد الحصول على الموافقات اللازمة ، ونشر الأعمال النثرية الكاملة .

أ.د محمود السيد على

أمين اللجنة التنظيمية للمؤتمر

حتى تمضى خمس سنوات

« أسطورة الزمن »

مدخـل

« حتى تمضى ٥ سنوات » مسرحية في ثلاثة فصول وخمسة مناظر ، ولها عنوان فرعي : أسطورة الزمن . انتهى لوركا من كتابتها في عـام ١٩٣١ . تتناول تيمة فشل الرجل في الحب - المطروحة في أعمال أخرى بمغايرات أخرى لنفس الكاتب - ومايترتب على ذلك من حرمانه من الإنجاب .

هذا العمل ينهل من أكثر من نبع استاطيقي ، وهو عمل تجديدي ومتفرد في أكثر من اتجاه ، وهو رغم بساطة خطه الدرامي ، غني في مكوناته المسرحية وفي تراكب تيمته . فيشتمل على عناصر سوريالية، ثمرة تمثل متعمق لمبادئ هذه الدراسة ولمبادئ أخرى من عالم لوركا الخصوصي ؛ ويكرس في المسرح تقنية « المونولوج الداخلي » المأخوذة عن الرواية ، ومن ثم فهو عمل تجريبي مبكر ينم عن حس وحدس عبقريين .

وتكتسب هذه المسرحية بعداً شاملاً وعاماً من حيث معالجتها للشخوص الدرامية ، فهؤلاء قبل أن يكونوا كائنات حقيقية أو حتى شبحية هم عصب حي ، انفعال بلا وصف جسدي ؛ وهم ، من حيث كونهم واقعاً متخيلاً وغير فردي ، متصلون بعالم الغريزة والعاطفة الذي

هو عالم جميع البشر . ويرقى الشخوص إلى الصيرورة الدرامية فى مسعاهم الدائم من أجل أن يصبح لهم اسم أو أنطولوجيا .

يرى بعض النقاد فى « حتى تمضى خمس سنوات » و « الجمهور » مسرحتين سورياليتين لهما علاقة مباشرة بالمرحلة الشعرية التى نظم لوركا خلالها ديوان « شاعر فى نيويورك » وأعد خلالها أكثر من سيناريو لأفلام قصيرة ذات طابع سوريالى مثل « نزهة باستركيتون » و « الفتاة والبحار والطالب » ... من حيث افتقار الصراع إلى الوحدة الدرامية وتوزعه على « لحظات » قد تكون مشتتة وغير متواصلة ويلاحظ داخلى . فلكل مشهد قيمة منفصلة أولاً رغم انتظامه فى المجمل .

على أن اعتبار لوركا سوريالياً مسألة قد لايقبلها كثير من دارسيه ، من مبدأ أن « اللامنطق » عند السورياليين يقابله « المنطق الشعرى » عند لوركا . ومع ذلك ، ثمة أمور تدعو إلى استقصاء عناصر سوريالية عند لوركا ينبغى الاقتراب منها – رغم ذلك – بشئ من الحذر .

فلاشك أن ذلك العالم الاستبطانى المتنائى عن الواقع وعن الموضوعية ، المغلف بجو من الاستسرار ؛ وذلك التراكب المكثف من الصور المستغلقة والتى تنطوى غالباً على رمزية متداخلة ومتعددة الدلالة ؛ وتكريس تيمة الحب والإيروسية فضلا عن انعكاس الأنا فى عدة شخوص ، لاشك فى أنه عالم متاخم للبويطيقا السوريالية .

وهنالك مسار تجريبي طويل وسابق انتهى بتبلور عناصر سوريالية في « حتى تمضي خمس سنوات » . فنصوص المؤلف النثرية المبكرة وكذلك سيناريو الفيلمين المشار إليهما - أو « الحواريات النثرية » بعبارة لوركا - و « شاعر في نيويورك » و « الجمهور » يتضمن جميعها مظاهر سوريالية ، منها : صور قائمة على فكرة « إطراح النزعة الإنسانية عن الفن » وأخرى حلمية أو منامية ؛ لغة منحوتة وتشيكلية ؛ البدائية والوحشية اللتان تخفف منهما أحيانا روح الدعابة القاتمة ؛ وصف لمناخات مَرَضية وتعاسة وعذاب منشأها دائماً أزمة الهوية ؛ عبث الدفاع عن الذات في مواجهة ضراوة الحياة وانكشاف المرء أمام الشر ، إلخ . ولكن ، علينا أن نقر بأن بعض هذه المظاهر لصيق بالصورة الشعرية عند لوركا وبمزاجه الخاص ، وأن بعضاً آخر له صلة بتأثيرات من الأدب الإسباني والتراث الفني الشعبي ، والأساطير الكلاسيكية ، ... إلخ .

أما « المونولوج الداخلي » فهو الدعامة التقنية التي ينهض عليها البناء الدرامي . فالتسلسل الدرامي والتعاقب الزمني الطردي التقليديان يفسحان مكانهما لانطباعات ذهنية موقعها اللاوعي ، تنطبع في اللاوعي انطلاقاً من تداع سمعي . تدق الساعة السادسة مساء ، في بداية الفصل الأول ، ثم يسأل « الشاب » ، البطل ، خادمه - في نهاية الفصل - عن الساعة فيجيبه : تمام السادسة ، وفي نهاية المسرحية تدق

الساعة الثانية عشرة . فإذا تصورنا أن هذه الدقات الاثنتى عشرة ليست سوى رجع الصدى للدقات الست فى الفصل الأول ، فإن الأحداث تجرى في لا زمن ، تماماً كما تنطبع الصور فى اللاوعي بلا مقياس زمنى نعرفه ؛ ومن ثم العنوان الفرعى : أسطورة الزمن .

والأحداث تجرى في رأس « الشاب » قبل لحظات من موته ، بعد حياة موسومة بالفشل العاطفى . وتبدأ المسرحية بحوار بين الذات وقرينها الممتد هنا فى ثلاثة شخوص : الشيخ ، ويمثل العدمية ؛ والصديق (١) ، ويمثل الحاضر الذى يفر الشاب من مواجهته ؛ ثم الصديق (٢) ، ويمثل نعيم الطفولة الذى تتشبث به نفس البطل خوفاً من مجابهة حب المرأة . كل شىء يؤجل ويحبط حتى الفشل الأخير ، حتى لحظة الموت .

د. محمد أبو العطا

الشخصيات

الشاب
الشيخ
كاتبة آلة الطباعة
الصديق
الطفل
القط
الخادم
الصديق (٢)
العروس
لاعب الرجبى
الخادمة
والد العروس
المانيكان
الجوكر
الفتاة
المهرج
القناع
الخادمة
المقامر (١)
المقامر (٢)
المقامر (٣)
الصدى

الفصل الأول

حجرة المكتبة . يجلس الشاب مرتدياً بيجاما زرقاء ، ويجلس أيضاً الشيخ بلحيته البيضاء ونظارته الذهبية الكبيرة الحجم مرتدياً سترة مذيلة رمادية اللون .

الشـــاب : ليس من العجب فى شىء .

الشـــيخ : ماذا ؟

الشـــاب : حدث لى دائماً بنفس الطريقة .

الشـــيخ : [**متحرياً ومتلطفاً**] : أليس كذلك ؟

الشـــاب : بلى .

الشـــيخ : إن ...

الشـــاب : أتذكر أنه ...

الشـــيخ : [**ضاحكاً**] : الذكرى دائماً .

الشـــاب : أنا ...

الشـــيخ : [**فى لهفة**] : استمر .

الشـــاب : كنت أخبئ الحلوى لآكلها فيما بعد .

الشـــيخ : فيما بعد ، أليس كذلك ؟ طعمها ألذ . أنا أيضاً ...

الشــــاب : وأتذكر أنه فى أحد الأيام ...

الشـــيخ : [**مقاطعاً بحدة**] تعجبنى كثيراً كلمة أتذكر . إنها كلمــة خضـراء ، غضة ، تقطر خيوطاً من الماء البارد بلا توقف .

الشــــاب : [**فى مـرح ومـحـاولاً إقناع نفسـه**] : نعـم ، نعم . بالطبع . مـعك كل الحق . لابد من مكافـحـة أية فكرة هدمية خاصة فى وجود تلك الثلم الرهيبة فى الحوائط . كم من مرة قمت فى منتصف الليل لأقتلع الحشائش من الحديقة . لا أريد حشائش فى بيتى ولا أثاثاً محطماً .

الشـــيخ : أجل . ولا أثاثاً محطماً لأنه لابد من التذكر ، ولكن ...

الشــــاب : لكن الأشياء حية، تحترق فى دمها وجميع ملامحها كاملة .

الشـــيخ : عظيم ! . أقصد [**يخفض من صوته**] إنه يجب التذكر ، ولكن التذكر من قبل .

الشــــاب : من قبل ؟

الشـــيخ : [**فى تكتم**] : نعم . يجب التذكر نحو الغد .

الشــــاب : (**غارقاً فى فكرة**] : نحو الغد .

[تدق الساعة السادسة . تعبر الكاتبة على آلة الطباعة خشبة المسرح باكية فى صمت .]

الشـــيخ : السادسة .

الشـــاب : نعم السادسة والقيظ شديد . [**ينهض**] هنالك سماء زويعة رائعة ، محملة بغيوم رمادية ...

الشـــيخ : أنت إذاً ... ؟ لقد كنت أنا صديقاً حميماً لهذه الأسرة ، خاصة للأب . هو مهتم بالفلك . شيء طيب ، هه ، بالفلك . وهى ؟

الشـــاب : لقد عرفتها قليلاً ولكن لايهم . أعتقد أنها تحبنى .

الشـــيخ : بالتأكيد !

الشـــاب : لقد ذهبوا فى سفر طويل . كدت أسعد لذلك ...

الشـــيخ : هل عاد أبوها ؟

الشـــاب : مطلقاً . هذا غير ممكن الآن .. لأسباب قد لايسهل شرحها ... حتى تمضى خمس سنوات .

الشـــيخ : عظيم ! [**مبتهجاً**]

الشـــاب : [**جاداً**] لِمَ تقول « عظيم » ؟

الشـــيخ : لأن ... هل هذا جميل ؟ [**مشيراً إلى الحجرة**] .

الشـــاب : لا .

الشـــيخ : ألا تغمك ساعة الرحيل ؟ والأحداث ؟ وكل ماهو آت فى التو ... ؟

الشـــاب : بلى ، بلى ، لاتحدث عن ذلك .

الشـــيخ : ماذا يجرى فى الشارع ؟

الشـــاب : ضجيج ، ضجيج دائماً ، وغبار وقيظ وروائح خبيثة . يضايقنى أن يقتحم مافى الطريق بيتى [**يسمع أنين طويل ، سكون**] ياخوان ، أغلق النافذة .

[**يغلق النافذة خادم متأنق يسير على أطراف أصابعه**]

الشـــيخ : وهى ... أهى صغيرة السن ؟

الشـــاب : صغيرة السن جداً . خمسة عشر عاماً .

الشـــيخ : خمسة عشر عاماً عاشتها هى كل وجودها ، ولكن لِمَ لا يقال إن لها خمسة عشر جليداً أو خمسة عشر هواء ، أو خمسة عشر شفقاً ؟ ألا تجرؤ على الفرار ؟ على الطيران ؟ على نشر حبك بعرض السماء ؟

الشـــاب : [**يغطى وجهه بيديه**] : أحبها كثيراً .

الشـــيخ : [**واقفاً وبحدة**] : أو يمكن أن تقول : إن لها خمس عشرة وردة أو خمسة عشر جناحاً أو خمس عشرة حبة رمل . ألا تجرؤ على أن تحتشد ، وعلى أن تجعل حبك جارحاً وصغير الحجم داخل صدرك ؟

الشـــاب : أنت تريد أن تقصينى عنها ، ولكننى أعرف سبيلك إلى ذلك . تكفى مراقبة حشرة حية فى راحة اليد أو مشاهدة البحر ذات مساء مدققاً فى هيئة كل موجة

حتى يستحيل المحيا أو الجرح الذى نحمله فى صدورنا
فقاعات . غير أنى عاشق وأريد أن أبقى مولهاً ، على
مثل حالها منى . لذا بوسعى أن أصطبر خمسة أعوام
فى انتظار أن أستطيع أن أعقد حول عنقى ضفائرها
النورانية ، فى الليل عندما يظلم العالم .

الشيخ : أسمح لنفسى بأن أذكرك بأن عروسك ... ليست لها ضفائر .

الشاب : [غاضباً] : أعرف ذلك . لقد قصتها دون إذن بالطبع ، وهذا ... [فى ضيق] يغير من صورتها . [بحدة] أعلم أن ليست لها ضفائر [شبه ثائر] لم ذكرتنى ؟ [فى حزن] ولكن فى هذه السنوات الخمس ستعود إليها ضفائرها .

الشيخ : [متحمساً] : وستكون أجمل من أى وقت مضى . ستكون ضفائر ...

الشاب : هى ضفائر ، هى ضفائر [فى سرور] .

الشيخ : هى ضفائر تمكن الحياة بأريجها دون حاجة إلى خبز أو ماء .

الشاب : كم أفكر ... !

الشيخ : كم تحلم .

الشـــاب : كيف ؟

الشـــيخ : تفكر كثيراً فى أنك ...

الشـــاب : فى أننى مجروح جرحاً حياً ... وكله نحو الداخل ... كالحرق .

الشـــيخ : [ماداً إليه كوباً] : اشرب .

الشـــاب : شكراً . كلما طفقت أفكر فى الفتاة الصغيرة ، فى طفلتى ...

الشـــيخ : قل عروسى . اجترئ !

الشـــاب : لا .

الشـــيخ : ولكن لم لا ؟

الشـــاب : إن العروس ... ، أنت تعلم هذا ؛ إن أقل عروسى أرها رغماً عنى مكفنة فى سماء علقت بضفائر هائلة من الثلج . لا، ليست عروسى [**يأتى بإيماءة كأنه يريد أن يبعد عنه الصورة التى تحاول أن تسيطر عليه**] إنها صغيرتى ... فتاتى .

الشـــيخ : استمر ، استمر .

الشـــاب : فإذا ما شرعت أفكر فيها ... أرسمها ... أجعلها تتحرك بيضاء وحية ولكن فجأة ، من الذى يغير أنفها أو يكسر أسنانها أو يحولها إلى أخرى ترتدى

الأسمال وتتخذ فى فكرى مأخذ من تنظر إلى نفسها فى مرآة بالية ؟

الشيخ : من ؟ إنه لمن الغريب أن تسأل : من ؟ إن الأشياء الماثلة أمام العين لهى أشد تغيراً من تلك التى تحيا قاب قوسين تحت الجبهة ، وإن الماء الآتى من النهر لمختلف تماماً عن الماء الذاهب . من يتذكر خريطة دقيقة لرمال الصحراء ؟ أو لوجه أى صديق ؟

الشاب : أجل ، أجل . مازال ما بداخلنا أكثر حياة ، على أنه هو أيضاً يتبدل . فى آخر مرة رأيتها لم أكن أحتمل النظر إليها عن قرب لوجود تجعيدتين فى جبهتها . ولولا أنى أخذت حذرى - أتفهمنى ؟ - لملأتا كل محياها ولجعلتاها فاسدة النضارة ، عجوزاً ، كأنها عانت الكثير . كان على أن أنفصل عنها حتى أبئِّرها - هذه هى الكلمة الصحيحة - فى قلبى .

الشيخ : أليس صحيحاً أنها فى تلك اللحظة التى رأيتها فيها عجوزاً كانت قد أسلمت لك نفسها تماماً ؟

الشاب : بلى .

الشيخ : [مهتاجاً] : أليس صحيحاً أنها فى تلك اللحظة بعينها إذا كانت قد اعترفت لك بأنها خانتك ، وأنها

لاتحبك لكانت التجاعيد تحولت إلى أرق وردة فى العالم ؟

الشـــاب : [مهتاجاً أيضاً] : بلى .

الشـــيخ : ولكنت أحببتها أكثر لنفس هذا السبب ؟

الشـــاب : بلى ، بلى .

الشـــيخ : إذاً ؟ ها ، ها !

الشـــاب : إذاً ... إن الحياة لشديدة الوعورة .

الشـــيخ : لذلك يتعين علينا الطيران من أمر إلى أمر إلى أن نتلاشى . فإن هى بلغت من العمر خمسة عشر عاماً يمكنها أيضاً أن تبلغ خمسة عشر شفقاً أو خمس عشرة سماء . إن الأشياء لأكثر حياة فى داخلنا منها هناك ، فى الخارج ،حيث تتعرض للهواء أو للموت . لذا هلم بنا : فلا نذهب أو لننتظر ؛ لأن المقابل هو أن نموت الآن . وإن كان من الأجمل أن نفكر أننا غداً سنرى مائة القرن الذهبية التى ترفع بها الشمس الغيوم عنها .

الشـــاب : [ماداً إليه يده] : شكراً ، شكراً على كل شيء .

الشـــيخ : سأعود مرة أخرى .

[تظهر كاتبة الآلة]

الشـــاب : هل انتهيت من كتابة الخطابات ؟

الفتاة : [**باكية**] : نعم ياسيدى .

الشيخ : [**للشاب**] : ما بها ؟

الفتاة : أود الرحيل عن هذه الدار .

الشيخ : إنه لأمر هين جداً ، أليس كذلك ؟

الشاب : [**مضطرباً**] : لك أن تقررى .

الفتاة : أريد الرحيل ولا أستطيع .

الشاب : [**فى عذوبة**] : لست أنا بمن يحول دون رحيلك . تعلمين أنى ليس بمقدورى أن أفعل شيئاً . لقد قلت لك عدة مرات أن انتظرى ، لكنك ...

الفتاة : لكننى لا أنتظر . ماذا يعنى أن أنتظر ؟

الشيخ : ولم لا ؟ إن الانتظار ليعنى الإيمان ويعنى الحياة .

الفتاة : لا أنتظر لأننى حرة ، ولأننى لا أريد ، ومع ذلك لا أستطيع أن أتحرك من هنا .

الشاب : أنت دائماً تنتهين إلى عدم ذكر مبررات .

الفتاة : ليس بوسعى إعطاء مبررات . ليس ثمة إلا مبرر واحد وهو ... أنى أحبك . لا تنزعج ياسيدى ! إنه دائما المبرر الأوحد . عندما كان صغيراً [**إلى الشيخ**] كنت أراه من شرفتى وهو يلعب ، وفى أحد الأيام زل وجرحت ركبته . أتذكر ؟ [**إلى الشاب**] حتى الآن مازال ذاك

الدم يحيا كأفعى حمراء تختلج بين نهدى .

الشـيخ : ليس هذا طيباً . يجف الدم ومافات فات .

الفتـاة : أى ذنب جنيته أنا ياسيدى ؟ [**إلى الشاب**] أرجوك أن تعطينى حسابى . أريد أن أرحل عن هذه الدار .

الشـاب : حسن . أنا لم أقترف أى ذنب أيضاً . فضلاً عن أنك تعلمين جيداً أنى لست ملكاً لنفسى . يمكنك أن تذهبى .

الفتـاة : [**إلى الشيخ**] : أسمعت ياسيدى ، إنه يطردنى من بيته ، لايريدنى هنا [**تبكى ثم تذهب**] .

الشـيخ : [**بصوت منخفض إلى الشاب**] : إنها لخطرة هذه المرأة .

الشـاب : وددت لو أحببتها مثلما أود العطش أمام عيون الماء . وددت ...

الشـيخ : مطلقاً . ماذا أنت فاعل غداً ؟ هه ؟ فكر ... غداً !

الصديق : [**يدخل محدثاً جلبة**] : ما أشد الصمت فى هذه الدار ! ولم كل هذا الصمت ؟ أعطنى ماء بأنيسون وثلج [**يذهب الشيخ**] أو أى كوكتيل .

الشـاب : رجائى ألا تهشم الآثاث .

الصديق : رجل وحيد ... وقور ، فى هذا الحر !

الشـــاب : أليس بمقدورك أن تجلس ؟

الصـديق : **[يأخذه من ذراعيه ويدور به ويغنى]** : « تتا .. تتا .. تتا .. تتا وجذوة يوحنا القديس ... »

الشـــاب : دعنى . لست راغباً فى هزل .

الصـديق : أووه ! من هذا الشيخ ؟ أحد أصدقائك ؟ وأين صور البنات اللائى تضاجعهن فى هذه الدار ؟ انظر **[يقترب منه]** سوف آخذ بتلابيك وسأطلى هذين الخدين الشمعيين بالألوان أو أفركهما ، هكذا .

الشـــاب : **[مغتاظاً]** : دعنى !

الصـديق : وسوف أخرجك إلى الشارع بعصا .

الشـــاب : وماذا أنا فاعل فيه ؟ إن لك ذوقاً ، حقيقةً ... إننى لأجد من المشقة ما يكفينى عندما أنصت إليه يزخر بالسيارات وبالضآلة .

الصـديق : **[يجلس ويتمدد على الأريكة]** : بينما أنا ... بالأمس غزوت ثلاث بنات ، وبما أننى – أول أمس – فعلت ذلك مع اثنتين واليوم مع واحدة فإننى ... فى النهاية ... أبقى بدون أى منهن . إذ ليس لدى وقت ... أمضيت وقتاً مع فتاة ... إرنستينا . أتريد أن تعرفها ؟

الشـــاب : لا .

الصديق : [**ينهض واقفا**] : تقول لا وتوقع تحتها ! ولكن لو أنك رأيتها ، إن لها قدماً ! ... بيد أن لما تيلدى قدماً أفضل بكثير . [**متحمساً**] آه ، يا إلهى ! [**يقفز قفزة ليتهاوى على الأريكة**] هو خصر يصلح لكل الأذرع وإنه لواهن إلى حد يُراد عنده أن تكون فى اليد فأس صغيرة من فضة لشجه .

الشاب : [**شارداً ومتحدثاً إلى نفسه**] : إذاً ، سأرتقى الدرج .

الصديق : [**ممدداً على الأريكة على بطنه**] : ليس لدى وقت ، ليس لدى أى وقت ، وكل أمورى تتداخل علىّ ، ولك أن تتخيل حالى ، أتواعد مع إرنستينا وضفائرها ههنا مشدودة ، شديدة السواد . ثم ...

[**الشاب – بنفاد صبر – ينقر المنضدة بأصابعه .**]

الشاب : أنت لاتدعني أفكر !

الصديق : ليس ثمة داع للتفكير! والآن ، أنا ذاهب . مهما ... حاولت ... [**ينظر إلى الساعة**] لقد تأخرت ، ياللفظاعة ، أتأخر دائماً . ليس لدى وقت للأسف . كانت تصحبها امرأة شديدة القبح وجديرة بالإعجاب معاً ، امرأة سمراء من اللائى يُفتقدن فى منتصف نهار صيفى ، وهى تعجبنى [**يقذف بوسادة فى الهواء**] لأن لها

هيئة مروض .

الشــــاب : كفى !

الصــديق : حسن يارجل ، لاتغضب . ومع هذا يمكن لامرأة أن تكون قبيحة جداً ، كما بوسع مروض الخيل أن يكون وسيماً ، والعكس . ما عسانا أن نعرف نحن ؟ [يملأ كأساً من الكوكتيل]

الشــــاب : لا شيء ...

الصــديق : ولكن ، هلا قلت لي بك ؟

الشــــاب : لاشيء ، ألا تعرف مزاجي ؟

الصــديق : أنا لا أفهمه . ومع هذا لايمكنني أن أظل جاداً [يضحك] سأحييك كما يفعل الصينيون [يحك أنفه بأنف الشاب] .

الشــــاب : [مبتسماً] إليك عني !

الصــديق : اضحك ! [يدغدغه]

الشــــاب : [ضاحكاً] : أيها البربري !

[يتصارعان]

الصــديق : سأساويك بالأرض !

الشــــاب : أقدر عليك !

الصــديق : أمسكت بك ! [يأخذ برأسه بين ركبتيه ويوسعه ضرباً]

الشـيـخ : [**يدخل فى صرامة**] : إذا أذنتما لى ... [**يقف الشابان**] معذرةً ... [**ينظر إلى الشاب بحدة**] سوف أنسى قبعتى .

الصديق : كيف ؟

الشـيـخ : [**ثائراً**] : أجل ياسيدى ! سـوف أنسى قبعتى ... [**من بين أسنانه**] أقصد ، نسيت قبعتى .

الصديق : آااه !

[**يُسمع تهشم زجاج**]

الشـاب : [**بصوت عال**] : خوان ، سد النوافذ !

الصديق : زوبعة بسيطة ، ليتها تشتد !

الشـاب : أفضل ألاّ أحس بها . [**بصوت عال**] ليغلق كل شئ بإحكام !

الصديق : إنه الرعد . ليس بوسعك أن تصم أذنيك .

الشـاب : قد أستطيع !

الصديق : وربما لا تستطيع !

الشـاب : لا أكترث بما يحدث فى الخارج . هذه الدار دارى ولن يدخل أحد هنا .

الشـيـخ : [**بحنق ، إلى الصديق**] : ليس لهذه الحقيقة تفنيد ممكن !

[**يُسمع رعد بعيد**]

الصديق : سيدخل هنا كل من يريد ، وليس هنا فحسب بل تحت سريرك .

[يقترب صوت الرعد]

الشاب : [يصرخ] : ولكن ليس الآن !

الشيخ : برافو ... !

الصديق : افتح النافذة ! أشعر بحر !

الشيخ : سوف تفتح !

الشاب : فيما بعد !

الصديق : لكن ، لمَ ... أأفهم من هذا أن ...

[يُسمع صوت الرعد من جديد . تنخفض الإضاءة ويغمر خشبة المسرح ضوء زوبعة مائل للزرقة. يختفي ثلاثتهم خلف ساتر أسود اللون نقشت عليه نجوم ، يدخل الطفل الميت والقط من الباب الأيسر . يرتدي الطفل زي أول تناول أبيض وإكليلاً من الورود البيضاء على رأسه . في وجهه المطلي بالشمع تبرز عيناه وشفتاه بلون الزنبقة الذابلة . يحمل شمعة مموجة في يده وشريطاً كبيراً عليه زهور ذهبية . لون القط أزرق لطخته بقعتا دم حمروان كبيرتان ، إحداهما في

صدره ذى اللونين الأبيض والرمادى والأخرى فى رأسه . يتقدمان صوب الجمهور . يمسك الطفل بالقط من إحدى أقدامه .]

القـــط : مياو .

الطفل : هس س س .

القـــط : مياو .

الطفل : خذ منديلى الأبيض.

خذ إكليلى الأبيض .

كفاك بكاء .

القـــط : تؤلمنى الجروح

التى أصابنى بها الأطفال فى ظهرى .

الطفل : وأنا أيضاً قلبى يؤلمنى .

القـــط : لم يؤلك أيها الطفل ؟ قُل !

الطفل : لأنه لا يعمل .

بالأمس توقف عندليب فراشى ،

برفق شديد .

صخب عظيم ؛ ليتك رأيتهم ... ! تركونى

بهذه الورود أمام النافذة .

القـــط : وبم كنت تشعر أنت ؟

الطفل : لقد شعرت
بينابيع ونحل فى القاعة .
أوثقوا يدىّ . بئس مافعلوا !
وكان الأطفال ، عبر الزجاج ، ينظرون إلىّ .
وجعل رجل يرشق نجوماً من ورق
بمطرقة فى نعشى .
[يشبك الطفل يديه على صدره]
لم تأتِ الملائكة . كلا ، أيها القط .
القط : لاتقل لى « أيها القط » مرة أخرى .
الطفل : لم ؟
القط : لأننى قطة .
الطفل : أأنت قطة ؟
القط : **[متدللة]** : كان عليك أن تنتبه إلى ذلك .
الطفل : لَمه ؟
القط : لصوتى الفضى .
الطفل : **[فى تأنق]** : هلا تفضلتِ بالجلوس ؟
القط : بلى . أنا جوعانة .
الطفل : سأرى لعلى واجد لك فأراً .
[يشرع فى البحث تحت المقاعد . يجلس القط على

كرسي ويرتعش]
لا تأكليها كلها ، بل قدماً واحدة .
لأنك مريضة جداً .

القط : قذفنى الأطفال .
بعشرة حجارة .

الطفل : حجارة ثقيلة كالورود
التى أطبقت ليلة أمس على حلقى .
أتريدين واحدة ؟
[ينزع وردة من رأسه .]

القط : [مسروراً] : نعم ، أريد .

الطفل : ببقعتيك الشمعيتين والوردة البيضاء
وعين القمر المحطم ، تبدين لى
غزالاً نائما بين الزجاج .
[يضع لها الوردة]

القط : وأنت ماذا كنت تفعل ؟

الطفل : كنت ألعب ، وأنت ؟

القط : ألعب !
أسير على القرميد ، قطة فطساء ،
فى الصباح

أذهب لصيد السمك فى الماء
وعند الظهر
أرقد تحت ورود الجدار .

الطفل : وفى الليل ؟

القطة : [**بمبالغة**] : أسير وحيدة .

الطفل : لا أحد معك .

القطة : فى الغابة .

الطفل : [**بسرور**] : أنا أيضاً كنت أذهب ، آهٍ ، أيتها القطة
الفطساء ، الرخيصة ،
لآكل التوت والتفاح ،
ثم إلى الكنيسة مع الأطفال
لألعب لعبة العنزة .

القطة : ماهى لعبة العنزة ؟

الطفل : كنا نلوك مسامير الأبواب .

القطة : أكان مذاقها طيباً ؟

الطفل : كلا ياقطتى ، كان كمصٍّ قطع النقود .

[**صوت رعد بعيد**]

هيه ، انتظرى ! أهم آتون ! أنا خائف .
أتعلمين ؟ لقد فررت من بيتى .

[يبكى]

لا أريد أن يدفنونى

والأشرطة والزجاج تزين تابوتى ،

بل أفضل الرقاد

بين أسل الماء .

لا أريد أن يدفنونى . هلمى ، أسرعى !

[يجرها من قدمها]

القطة : هل سندفن ؟ متى ؟

الطفل : غداً ،

فى حفر معتمة ،

جميعهم ينتحب . يصمت .

لكنهم يرحلون . لقد رأيت ذلك

ثم ، أتعلمين ؟

القطة : ماذا ؟

الطفل : يأتون ليأكلونا .

القطة : من ؟

الطفل : العظاءة الذكر والأنثى

وأولادهما الصغار ، وما أكثرهم .

القطة : وماذا يأكلون منا ؟

الطفل : وجهينا
وأصابعنا
[خافضاً صوته]
والعصفورة
القطة : **[مستاءة]** : أنا ليس لى عصفورة .
الطفل : **[بحرارة]** : أيتها القطة ! ،
سيأكلون أقدامك وشاربك .
[صوت رعد بعيد]
هيا بنا ، من بيت إلى بيت
نصل إلى حيث ترعى
أفراس الماء الصغيرة .
ليست هذه السماء . إنها الأرض الصلبة
وجنادب كثيرة تغنى
وعشب يميس
وسحب ترتفع
ومقاليع ترمى حجارة
والريح كالسيف
أريد أن أكون طفلاً ، طفلاً !
[يتجه إلى الباب الأيمن]

القطة : الباب موصد .
لنذهب من السلم .
الطفل : من السلم سيروننا .
القطة : تمهل .
الطفل : هاهم قادمين لدفننا !
القطة : هيا بنا من النافذة .
الطفل : لن نرى النور أبداً
ولا السحب التى ترتفع
ولا الجنادب فى العشب
ولا الريح كالسيف .
[يشبك يديه]
ياعباد الشمس !
ياعباد الشمس النارى !
ياعباد الشمس !
القطة : ياقرنفلة الشمس !
الطفل : تسير منطفئة فى السماء .
بحار وجبال من فحم فقط
وحمامة ماتت على الرمل
جناحاها محطمان وفي منقارها زهرة .

[يغنيان]

وفى الزهرة زيتونة ،

وفى الزيتونة ليمونة ...

ثم ماذا ؟ لا أعرف بقية الأغنية .

القطة : ياعباد الشمس !

ياعباد شمس الصباح !

الطفل : ياقرنفلة الشمس !

[يخفت الضوء . يسير الطفل والقطة فى حذر وكل منهما ممسك بالآخر .]

القطة : لا أرى شيئاً . أين أنت ؟

الطفل : صه !

القطة : أتأتى العظاءات الآن ، أيها الطفل ؟

الطفل : كلا !

القطة : أوجدت مخرجاً ؟

[تقترب القطة من الباب الأيمن فتخرج يد وتدفعها إلى الداخل]

الطفل : أيها الطفل ، أيها الطفل ، أيها الطفل !

[بفزع]

أيها الطفل ، أيها الطفل !

[يتقدم الطفل خائفاً ، متوقفاً فى كل مرة خطوة]

القطة : [بصوت خفيض] : لقد غرقت .

أخذتها يد .

لعلها يد الله .

لا تدفنينى . انتظرى دقائق ...

حتى أنزع أوراق هذه الزهرة .

[يخلع الزهرة من رأسه وينزع أوراقها]

سأذهب وحدى ، رويداً

ثم تدعيننى أنظر إلى الشمس ...

قليلاً جداً ، يكفينى شعاع واحد .

[ينزع أوراق الزهرة واحدة واحدة] : نعم ، لا ، نعم ، لا ، نعم .

صوت : لا ، لا .

الطفل : أنا قلت لا دائماً .

[تطل يد وتسحب الطفل الذى يفقد وعيه . عند اختفاء الطفل يعود الضوء سيرته الأولى . من وراء الساتر ، يظهر الأشخاص الثلاثة مرة أخرى . يبدون شعوراً بالحر وبالاضطراب الشديد ، فى يد الشاب مروحة زرقاء وفى يد الشيخ مروحة سوداء ، أما الصديق

فيمسك بمروحة ذات لون أحمر شديد الحمرة .
يستخدمونها]

الشــيخ : سوف يشتد الحر .

الشــاب : أجل ، فيما بعد .

الصـديق : لقد اشتد بما فيه الكفاية ، أرى أنك لا تستطيع الفرار من الزوبعة .

صــوت : **[فى الخارج]** : أى بنى ، أى بنى !

الشــاب : يا إلهى ، أى مساء هذا ! ياخوان ، من يصرخ هكذا ؟

الخــادم : **[يدخل . يتحرك دائماً برفق شديد ويسير على أطراف أصابعه]**
لقد مات طفل البوابة وهم يحملونه الآن إلى مثواه الأخير . إنها أمه تبكى .

الصـديق : أمر طبيعى !

الشــيخ : نعم ، نعم ؛ بيد أن مافات فات .

الصـديق : ولكنه لايزال فى طور الحدوث . **[يتجادلان]**
[الخادم يعبر خشبة المسرح ، فى طريقه إلى الخروج من الباب الأيسر]

الخــادم : سيدى . هلا تكرمت وتركت لى مفاتيح غرفة نومك ؟

الشــاب : لم ؟

الخـــادم : قتل الأطفال قطاً وألقوه فوق قرميد الحديقة ، ولزم إنزاله .

الشـــاب : [**بضيق**] : خذها . [**إلى الشيخ**] أمر لا مفر منه .

الشـــيخ : لايهمنى فى شئ .

الصـديق : ليس هذا صحيحاً . هو أمــر يهمك بالفعل . أما من لا يهمه الأمر فهو أنا ، فأنا أعلم إيجابياً أن الجليد بارد وأن النار حارقة .

الشـــيخ : [**هازئاً**] : ليس دائماً !

الصـديق : [**للشاب**] : إنه يخدعك .

[ينظر الشيخ نظرة حادة إلى الصديق كابساً قبعته]

الشـــاب : [**فى عنف**] : هو لا يؤثر فى شخصى أقل تأثير . إنه أمرى أنا ولكنك أنت الذى ليس بوسعك أن تتفهم أن أنتظر امرأة خمسة أعوام ، مفعماً ومحترقاً بحب يزداد كل يوم .

الصـديق : ليست ثمة حاجة إلى الانتظار .

الشـــاب : أتعتقد أن بوسعى التغلب على الأمور المادية ، وعلى العوائق التى تنشأ وسوف تطرد فى طريقى دون أن أسبب ألماً للآخرين ؟

الصـديق : المهم أنت أولاً لا الآخرون .

الشـــاب : إنْ أنتظر تحل العقدة وتطب الثمرة .

الصـديق : أنا أفـضل أن آكلهـا خـضــراء ، بل وددت لوقطفت زهرتها ووضعتها فى صدرى .

الشــيخ : ليس هذا صحيحاً !

الصـديق : كيف لك أن تدرك هذا وأنت فى هذه السن !

الشــيخ : [**فى صرامة**] : ناضلت طيلة حيـاتى لعلى أشعل قبساً فى أشد الأماكن حلكة ، وعندما هم الناس بدق عنق الحمامة رددت أيديهم وساعدتها على الطيران .

الصـديق : وطبعاً مات الصياد من الجوع !

الشـــاب : بورك هذا الجوع !

[يدخل الصديق (٢) من الباب الأيسر . يرتدى بذلة صوفية بيضاء رائعة وقفازين وحذاء بنفس اللون . يجب أن يكون تصميم البذلة مبالغاً فيه وأن تكون الأزرار زرقاء ضخمة ، وربطة العنق والصدارة من الدانتيل المموج . إذا لم يتح لشاب صغير السن أن يقوم بهذا الدور ، يمكن أن تقوم به فتاة .]

الصديق (٢) : بورك الجوع فى وجود خبز محمص وزيت ونعاس بعدهما . نعاس كثير . لاينتهى أبداً . لقد سمعتك .

الشـــاب : [**فى دهشة**] من أين دخلت ؟

الصديق (٢) : من أى مكان . من النافـذة . سـاعـدنى طفـلان ، صديقان حميمان لى . عرفتهما عندما كنت صغيراً جداً . دفعانى من قدمىّ . سوف يسقط مطر غزير ... ولكن العام الماضى كان أجمل . حينئذ شح الضوء حتى أن يدىّ اصفرتا . [**للشيخ**] هل تتذكر ياسيدى ؟

الشـــيـخ : [**متبرماً**] لا أتذكر شيئاً .

الصديق (٢) : [**للصديق (١)**] : وأنت ؟

الصديق (١) : [**جاداً**] ولا أنا .

الصديق (٢) : كنت صغيراً جداً ولكننى أتذكره بكل دقة .

الصديق (١) : حسن ... !

الصديق (٢) : لذا فإننى لا أود رؤيته اليوم . المطر رائع . فى المدرسة ، كان يدخل الأفنية ويرمى الحوائط بنسوة صغيرات عاريات يحملهن فى طياته . ألم تروهن ؟ كنت حينئذ فى الخامسة من عمرى ، كلا ، كنت فى الثانية ... أكذب ، كان عمرى عاماً واحداً فقط . ما أجمله ، أليس كذلك ؟ فى أحد الأعوام ، أخذت إحدى نسوة المطر هذه وتركتها فى حوض أسماك يومين .

الصديق (١) : [ساخراً] : وهل نَمَت ؟

الصديق (٢) : كلا ، أخذت تتضائل شيئاً فشيئاً ، صارت أشد طفولة ، كما هو مفروض وعادل ، حتى لم يبق منها سوى نقطة ماء . وكانت تغنى أغنية ...

أعود من أجل جناحىّ ،

دعونى أعد .

أرجو الموت وأنا فجر

أرجو الموت وأنا

أمس .

أعود من أجل جناحىّ .

دعونى أعد .

أوجو الموت وأنا نبع ،

أرجو الموت خارج البحر ...

وهذا بالضبط ما أغنيه طوال اليوم .

الشيخ : [**بعصبية ، إلى الشاب**] : لقد جن تماماً .

الصديق (٢) : [**بعد أن سمعه**] : جننت ؟ ألأننى لا أريد أن أعيش نهباً للتجاعيد والأحزان مثلك ؟ ألأننى أريد أن أحيا حياتى التى يحرموننى منها ؟ أنا لا أعرفك . لا أريد رؤية أناس مثلك .

الصديق (١) : [**يشرب**] : ما كل هذا سوى رعب من الموت .

الصديق (٢) : لا ، الآن ، قبل أن آتى إلى هنا ، رأيتهم يحملون طفلاً إلى القبر كى يواروه التراب مع أول قطرة مطر . هكذا أريد أن يدفنونى ، فى تابوت صغير كهذا ، ولتذهبوا أنتم لمنازلة العاصفة ! غير أن مُحياى ملكى ويسرقونه منى . كنت غضاً وكنت أغنى ، لكن الآن ثمة رجلاً [**ينظر إلى الشيخ**] سيداً مثلك ، يتحرك داخلى ومعه قناعان أو ثلاثة على أهبة الاستعداد [**يخرج مرآة ويرى فيها صورته**] بيد أن هذا لن يحدث بعد ، فما زلت أرانى فوق أشجار الكريز .. أرتدى البذلة الرمادية بذلة رمادية بمراسى صغيرة فضية ... يا إلهى ! [**يغطى وجهه بيديه**] .

الشـيخ : تُشق الأردية وتصدأ المراسى ونسير إلى الأمام .

الصديق (٢) : آهٍ ، من فضلك ، لاتتكلم على هذا النحو !

الشـيخ : [**متحمساً**] : الأشياء تتداعى .

الصديق (٢) : [**محتداً وفى موقف المدافع**] : الأشياء لاتتداعى .

الشـيخ : [**رابط الجأش**] : تنطفئ العينان ويحصد منجل شديد المضاء أسل الضفاف .

الصديق (٢) : بالطبع كل هذا يحدث فيما بعد !

الشــــيـخ : على العكس ، حدث هذا بالفعل .

الصديق (٢) : إلى الوراء ، يظل كل شئ ساكناً . كيف لك ألا تعلم هذا ؟ وليس بوسعنا سوى أن نوقظ الأشياء برفق . فى المقابل ، فى غضون أربع أو خمس سنوات ثمة بئر سنسقط فيها جميعاً .

الشــــيـخ : [**غاضباً**] : صه !

الشـــــاب : [**مرتعداً ، إلى الشيخ**] : أسمعت ياسيدى ؟

الشــــيـخ : بما فيه الكفاية . [**يخرج مسرعاً من الباب الأيمن**]

الشـــــاب : [**يتبعه**] : إلى أين ياسيدى ؟ لم تذهب على هذا النحو ؟ انتظر ! [**يخرج فى إثره**]

الصديق (٢) : [**رافعاً منكبيه**] : حسن ، ماذا يمكن أن يتوقع من عجوز ؟ ومع هذا فأنت لم تحتج .

الصديق (١) : [**بعد أن ظل يشرب بلا توقف**] : كلا .

الصديق (٢) : الخمر تكفيك .

الصديق (١) : [**فى جدية وصدق**] : أنا أفعل مايروقنى ، ما يبدو لى صحيحاً . لم أطلب رأيك .

الصديق (٢) : [**فى خوف**] : أجل ، أجل . أنا لم أقل شيئا ... [**يجلس على أحد المقاعد وركبتاه مضممتان**] .

[الصديق (١) يحتسى فى عجلة جميع الكؤوس آتيا على آخرها ، ثم يرفع يده إلى جبهته كأنما تذكر شيئاً . يخرج مسرعاً من الباب الأيسر . الصديق (٢) الجالس يحنى هامته إلى أسفل . يظهر الخادم من ناحية اليمين ، يسير برفق وعلى أطراف أصابعه دائماً . يبدأ سقوط المطر .]

الصديق (٢) : الوابل . [**ينظر إلى يديه**] ما أقبح هذا الضوء .
[**يغلبه النعاس**]

الشاب : [**يدخل**] : سيعود حالاً . فأنا محتاج إليه . [**يجلس**]
[**تظهر الفتاة كاتبة آلة الطباعة تحمل حقيبة . تعبر خشبة المسرح ثم تعود فتتوسطها مسرعة .**]

كاتبة الآلة : أكنت دعوتنى ؟

الشاب : [**يغلق عينيه**] : كلا ، لم أفعل .
[**تهم بالخروج متلفتة فى لهفة ومنتظرة ناءه**]

كاتبة الآلة : [**عند الباب**] : أتحتاجنى ؟

الشاب : [**مغمضاً عينيه**] : كلا ، لست فى حاجة إليك .

الصديق (٢) : [**فى نعاسه**] : أعود من أجل جناحىّ ،
دعونى أعد .
أرجو الموت وأنا

أمس .

أرجو الموت وأنا فجر .

[يبدأ هطول المطر]

الشـــاب : الوقت متـأخـر جـداً . ياخـوان ، أشـعل الأنوار . كم الساعة الآن ؟

خـــوان : **[بنبرة ذات معنى]** : تمام السادسة ياسيدى .

الشـــاب : حسن .

الصديق (٢) : **[يحلم]** : أعود من أجل جناحىّ ،

دعونى أعد .

أرجو الموت وأنا

نبع .

أرجو الموت .

خارج البحر .

[ينقر الشاب المائدة بأصابعه فى رفق]

(ستار بطئ)

الفصل الثانى

.

غرفة نوم طراز ١٩٠٠ . أثاث غريب . ستائر ضخمة ذوات ثنايا وكريات كثيرة . رسومات سحب وملائكة على الحوائط . يتوسط المسرح فراش مليئ بالستائر والريش . على اليسار ثمة صوان تزين قوائمه على هيئة ملائكة تمسك بأغصان بها لمبات كهربائية . الشرفات مفتوحة وضوء القمر يدخل منها . يسمع صوت بوق سيارة مزعج . العروس التى ترتدي روباً رائعاً مليئاً بالدانتيل وله أشرطة ضخمة وردية اللون تقفز من الفراش . لها شعر طويل تغطيه « الرولوهات » .

العروس : **[تطل من الشرفة]** : اصعد **[يسمع صوت بوق السيارة]** يجب أن تصعد . سيأتى عريسى ، العجوز ، الشاعر ، وأحتاج مؤازرتك .

[يدخل لاعب الرجبى من الشرفة . يلبس واقيين للركبة وخوذة ، ويحمل كيساً ممتلئاً بالسيجار ، فهو يشعل سيجاراً ثم يطفئه بقدمه ، ثم يشعل آخر ، وهكذا دون توقف] .

العروس : ادخل . لم أرك منذ يومين **[يتعانقان]**

[لاعب الرجبى لايتكلم . يدخن فقط ويسحق السيجار بقدمه . يعطى انطباعاً شديداً بالحيوية ويعانق العروس فى قوة]

العروس : اليوم قبلتنى بطريقة مختلفة . أنت دائم التغيير ياحبيبى . بالأمس لم نلتق لكننى كنت أتفقد الجواد . بدا رائعاً ، أبيض ، ذهبى الحوافر وسط تبن المزاود . **[تجلس على أريكة بجوار الفراش]** لكنك أجمل منه ، فأنت كالتنين **[نعانقه]** يهيأ لى أنك ستحطم ضلوعى بين ذراعيك ، لأننى ضعيفة ، لأننى صغيرة ، لأننى مثل الجليد ، لأننى مثل قيثارة صغيرة حرقتها الشمس ، بيد أنك لا تحطمنى .

[ينفث لاعب الرجبى الدخان فى وجهها]

العروس : **[تداعب رقبته بيدها]** : ثمة خلف كل هذه الظلمة مايشبه جسوراً من فضة متشابكة لكى تضمنى وتحمينى ، لأننى صغيرة مثل زر ، لأننى صغيرة مثل نحلة دخلت فجأة صالون العرش . أليس كذلك ؟ أليس كذلك ؟ أليس كذلك ؟ سأذهب معك **[تستند برأسها إلى صدر اللاعب]** أيها التنين ، ياتنينى ، كم قلباً لك ؟ ثمة مايشبه السيل فى صدرك ، سأغرق فيه . سوف

أغـرق [**تنظر إليـه**] وأنت سـتـفـر هـارباً [**تبكى**]
وستتركنى على الضفاف ميتة . [**لاعب الرجبى يضع سيجاراً فى فمه والعروس تشعله له**] أوه ! [**تقبله**]
أية جذوة بيضاء ، أية نار عاجية تسكبها أسنانك ؟
لعريسى أسنان ثلجية ، كان يقبلنى فتغطى شفتيه
وريقات يابسة ، شفتاه جافتان . قصصت ضفائرى
لفرط حبه لها ، تماماً مثلما أسير الآن حافية القدمين
لأنك تحب هـذا . أليس كذلك ؟ أليس هذا صحيحاً ؟
[**يقبلها**] علينا أن نرحل ، فعريسى آت .

صـوت : [**بالباب**] : آنسة !

العـروس : اذهب ! [**تقبله**]

صـوت : ياآنسة !

العـروس : [**تنفصل عن اللاعب وتتصنع الشرود**] إنى قادمة !
[**تخفض من صوتها**] : وداعاً ! [**اللاعب الواقف بالشرفة يعود إليها ويرفعها بين ذراعيه ويقبلها .**]

صـوت : افتحى الباب !

العـروس : [**بنبرة مفتعلة**] : ما أقل صبرك !
[**يخرج اللاعب من الشرفة وهو يصفر**]

الخادمة : [**تدخل**] آه يا آنسة !

العــروس : ما للآنسة ؟

الخـادمـة : يا آنسة !

العــروس : ماذا ؟ [**تضئ نور السقف . وهو ضوء أكثر زرقة من الضوء الداخل من الشرفات**]

الخـادمـة : لقد حضر عريسك !

العــروس : حسن ! وماذا أصابك ؟

الخـادمـة : [**باكية**] : أبداً !

العــروس : أين هو ؟

الخـادمـة : فى الطابق الأسفل .

العــروس : مع من ؟

الخـادمـة : مع أبيك .

العــروس : وحدهما ؟

الخـادمـة : معهما أحد السادة يلبس نظارة ذهبية اللون . يحتدم بينهم نقاش .

العــروس : سأرتدى ثيابى . [**تجلس إلى صوان الزينة وتتجمل ، تساعدها خادمتها**]

الخـادمـة : [**باكية**] : آه ياآنستى !

العــروس : [**بعصبية**] : ما لآنستك ؟

الخـادمـة : آنستى !

العروس : [**بحدة**] ماذا ؟

الخادمة : إن عريسك لجميل .

العروس : فلتتزوجيه أنت .

الخادمة : يأتى مسروراً جداً .

العروس : حقيقة ؟

الخادمة : أحضر هذه الزهور .

العروس : تعلمين أنى لا أحب الزهور . ألقى بها من الشرفة .

الخادمة : ما أجملها ... ! لقد قطفت لتوها .

العروس : [**بلهجة أمرة**] : تخلصى منها !

[الخادمة تلقى من الشرفة بزهور كانت فى قارورة]

الخادمة : آه يا آنستى !

العروس : [**غاضبة**] : ماذا أصابك ؟

الخادمة : يا آنستى !

العروس : مااااذا ؟

الخادمة : فكرى جيداً فيما أنت مقدمة عليه ! تعقلى . العالم كبير ونحن صغار .

العروس : وأنت ، ماذا تعرفين ؟

الخادمة : حسن . أعرف الكثير . ذهب أبى إلى البرازيل مرتين ، ولفرط صغره كان يمكن أن تسعه حقيبة سفر .

فتُنسى الأشياء ولايبقى سوى السّىء منها .

العـــروس : قلت لك اصمتى .

الخـادمـة : آه ياآنستى !

العـــروس : [**بحدة**] : ملابسى !

الخـادمـة : ماذا ستفعلين ؟

العـــروس : مابوسعى !

الخـادمـة : رجل بهذه الطيبة . ينتظرك كل هذا الوقت . بكل هذه اللهفة . خمس سنوات .

[**تعطيها الأثواب**]

العـــروس : أأعطاك يده ؟

الخـادمـة : [**مبتهجة**] : نعم ، شد على يدى .

العـــروس : وكيف شد على يدك ؟

الخـادمـة : فى رقة شديدة . لم يشد عليها تقريباً !

العـــروس : أترين ؟ لم يشد على يدك .

الخـادمـة : كان لى خطيب جندى ، كان يرشق خواتمه فى يدى ويجرحنى ، لذا تخلصت منه .

العـــروس : حقيقة ؟

الخـادمـة : آه يا آنستى !

العـــروس : أى ثوب أرتديه ؟

الخادمة : ما أجملك فى الثوب الأحمر !

العروس : لا أريد أن أبدو جميلة .

الخادمة : الأخضر إذاً !

العروس : لا !

الخادمة : البرتقالى ؟

العروس : لا . [**بحدة**]

الخادمة : ثوب التُل ؟

العروس : [**أكثر حدة**] : لا .

الخادمة : ثوب أوراق الخريف ؟

العروس : [**بغضب وبشدة**] : قلت لا . أريد ثوباً بلون التراب لهذا الرجل ، ثوباً بلون صخرة عارية ورباطاً من السعف فى خصرى . [**يسمع صوت بوق السيارة . تقلب العروس عينيها وتستمر فى الحديث بعد أن تغير تعبير وجهها**] وإكليلاً من الياسمين فى عنقى وقد شد كل لحمى بغلالة بللها البحر . [**تتجه صوب الشرفة**]

الخادمة : أرجو ألا يصل هذا مسامع عريسك !

العروس : آن له أن يعلم . [**تختار ثوباً عادياً بسيطاً**] . هذا [**ترتديه**] .

الخادمة : أنت مخطئة !

العـــروس : له ؟

الخـادمــة : كـان عريسك يبحث عن شيء آخـر . في بلدتي ، كـان ثمة شاب يصعد إلى برج الكنيسة ليرى القمر عن قرب ، فهجرته عروسه .

العـــروس : عين الصواب !

الخـادمــة : قال إنه كان يرى محيا عروسه في القمر .

العـــروس : [بحدة] : أو يبدو لك هذا طيباً ؟ [**تنتهي من ارتداء ملابسها أمام صوان الزينة وتضيء اللمبات التي تحملها الملائكة**] .

الخـادمــة : حين تشاجرت مع الساعي ...

العـــروس : هل تشـاجـرت مع الســاعي ؟ الوسـيم ... الوسـيم ... الوسيم ... !

الخـادمــة : بالطبع . أهديته منديلاً طرزته أنا وكتبت عليه « حبيبي ، حبيبي ، حبيبي » فأضاعه .

العـــروس : اذهبي .

الخـادمــة : أأوصد الشرفات ؟

العـــروس : كلا .

الخـادمــة : قد يحرق الهواء بشرتك .

العـــروس : أود هذا . أود أن أستحيل سـوداء ، أشد سـواداً من

صـبى ، أود إن أقع ألاّ أنزف دمـاً وإن أقـبض على
غصن توت ألاّ أجرح . يسير الناس جميعهم على حبل
وهم مغمضو الأعين . أما أنا فأريد قدمى راسختين .
ليلة أمس رأيت فيما يرى النائم أن جميع الأطفال
الصغار يكبرون بالصدفة وتكفى قوة قبلة لتقتلهم جميعاً .
يعيش خنجر أو مقص أبداً أما صدرى فيدوم لحظة .
واحدة فقط .

الخادمة : [**متصنتة**] : ها هوذا أبوك يحضر .

العروس : ضعى ثيابى الملونة فى حقيبة .

الخادمة : [**ترتعد**] : أجل .

العروس : وأعدى مفتاح الجراج .

الخادمة : [**خائفة**] : حسن .

[يدخل والد العروس . هو عجوز شارد الذهن . يحمل منظاراً معظماً يتدلى من رقبته ويرتدى شعراً مستعاراً أبيض وقفازين بنفس اللون وبذلة سوداء . وجهه متورد وتنم حركاته عن قصر بسيط فى نظره .]

الأب : هل أنت مستعدة ؟

العروس : [**فى ضيق**] : لماذا يجب أن أكون مستعدة ؟

الأب : إنه هنا .

العـــروس : ثم ماذا ؟

الأب : حــسن ، بما أنك مــخطوبة والأمــر يخص حــيــاتك وسعادتك ، من الطبيعى أن تكونى سعيدة وواثقة .

العـــروس : أنا لست كذلك .

الأب : كيف ؟

العـــروس : أنا لست سعيدة . وأنت ؟

الأب : ولكن يابنتى ... ماذا سيقول هذا الرجل ؟

العـــروس : ليقل مايشاء .

الأب : لقد حضر ليتزوجك ، بعد أن كاتبته خمسة أعوام طيلة غــيــابنــا ، وأنــت لم تراقــصى أحــداً فى عــابرات المحيطات ... لم تلتفتى إلى رجل . أى تغير هذا ؟

العـــروس : لا أريد أن أراه . أريد الحياة . هو يتكلم كثيراً .

الأب : آه ! لم لم تقولى هذا من قبل ؟

العـــروس : من قــبل لم أكن أنا نفــسى مــوجــودة ! لم يكن ثمــة ســوى أرض وبـحــر ، بينمــا كنت أنام نومــاً عــذباً على وسائد القطار .

الأب : هذا الرجل سوف يسبنى وله كل الحق . آه ، يا إلهى ! بعــد أن كــان كل شئ على أهبــة الاســتــعــداد ، بعــد أن أهداك ثوب الزفاف الجميل . إنه هــنــاك ، فى الداخل ،

فوق المانيكان .

العـــروس : لا تحدثنى عنه ، لا أريد .

الأب : وأنا ؟ أنا : أليس لى حق فـى الراحـــة ؟ الليلة هناك خسوف قمرى ، ولن أستطيع أن أشاهده من الشرفة . عندما أصاب بضيق يصعد الدم إلى عينى ولا أرى . ماذا نفعل بهذا الرجل ؟

العـــروس : افعل به ما شئت ، لا أريد أن أراه .

الأب : [**بحدة ومستحثاً قوة إرادته**] عليك أن تفى بوعدك !

العـــروس : لن أفعل .

الأب : لا مفر .

العـــروس : لا .

الأب : الجـمـيع ضـدى . [**ينظر إلى السـمـاء عبـر الشـرفـة المفتوحة**] الآن يبدأ الخسوف . [**يتجه إلى الشرفة**] لقد أطفأوا المصابيح الآن . [**مغموماً**] سيكون رائعاً ! ظللت أنتظره زمناً طويلاً والآن لا أراه . لم خدعته ؟

العـــروس : أنا لم أخدعه .

الأب : خمس سنوات ، يوما بعد يوم . آه ، يا إلهى !

[تدخل الخـادمـة فـى عـجلة وتجـرى صـوب الشـرفـة . تسمع أصوات فى الخارج]

العــروس : إنهما يتجادلان .

الأب : من ؟

العــروس : هاهو قادماً . [**تخرج مسرعة**]

الأب : ما بك ؟

العــروس : إلى أين تذهبين ؟ أغلقى الباب [**بقلق**]

الأب : ولكن ، لمه ؟

العــروس : آه !

[يدخل الشاب مرتدياً بذلة . يصلح من شعره . فى لحظة دخوله تضاء جميع أنوار المسرح وكذا أفرع المصابيح التى تحملها الملائكة . ينظر ثلاثة الأشخاص بعضهم إلى بعض فى سكون وصمت]

الشــاب : اسمحا لى !

[**صمت**]

الأب : [**فى حرج**] تفضل بالجلوس .

[**تدخل الخادمة فى عصبية ويداها الاثنتان على صدرها**]

الشــاب : [**ماداً يده للعروس**] كان سفراً طويلاً جداً ...

العــروس : [**تنظر إليه نظرة متفحصة دون أن تترك يده**] نعم ، رحلة باردة . أمطرت السماء ثلجاً كثيراً فى هذه

السنوات الأخيرة [**تترك يده**]

الشـــاب : معذرة ، ولكننى مهتاج من جراء الركض وصعود الدرج ، ثم ... فى الشارع ، ضربت أطفالاً كانوا يقتلون قطاً رمياً بالحجارة .

العـروس : [**للخادمة**] له يد باردة ، يد كقطعة الشمع .

الخادمـة : قد يسمعك !

العـروس : ونظرة قديمة . نظرة تتكسر كجناح فراشة متيبسة .

الشـــاب : لا ، لا أستطيع أن أظل جالساً . أفضل أن نتحدث ، بينما كنت أصعد الدرج تذكرت فجأة كل الأغنيات التى كنت قد نسيتها ، ووددت لوغنيتها جميعاً فى آن معاً . [**يقترب من العروس**] الضفائر ...

العـروس : لم تكن لى ضفائر قط .

الشـــاب : قد يكون القمر . قد يكون الهواء وقدصار أفواهاً ليقبل رأسك .

[تنزوى الخادمة فى أحد الأركان . يطل الأب من الشرفة ويستخدم المنظار المكبر]

العـروس : وأنت ،أما كنت أطول قامة ؟

الشـــاب : نعم ، نعم .

العـروس : أما كانت ابتسامتك عنيفة كطائر بلشون ؟

الشـــاب : نعم .

العـــروس : أما كنت تلعب الرجبى ؟

الشـــاب : مطلقاً !

العـــروس : [**فى حماس**] أما كنت تقبض على سبائب الجواد وتقتل فى يوم واحد ثلاثة آلاف تدرج ؟

الشـــاب : البتة !

العـــروس : إذاً ... لم أتيت فى طلبى ؟ يداك كانت تغطيهما الخواتم . أين توجد قطرة واحدة من دمك ؟

الشـــاب : سأريق قطرة إذا أردت !

العـــروس : [**بحدة**] إنه ليس دمك ! أنه دمى أنا !

الشـــاب : لا أحد يستطيع الآن أن يفصل ذراعى عن عنقك !

العـــروس : ماهما بذراعيك ، إنهما ذراعى ! إننى أنا التى أريد أن أحترق فى نار أخرى !

الشـــاب : ليس ثمة سوى نارى [**يعانقها**] لأننى انتظرتك والآن أحقق حلمى . وليست ضفائرك حلماً لأننى سأضفر شعرك بيدى ، وليس خصرك حلماً ففيه يغنى دمى ، لأنه دمى نلته بصبر خلال المطر ، وهذا الحلم حلمى .

العـــروس : [**تتملص نه**] : دعنى . كان بوسعك أن تذكر أية كلمة

فيما عدا كلمة حلم . لا توجد أحلام هنا . لا أريد أن أحلم ...

الشـــاب : والحب ؟

العـــروس : ولا الحب . اذهب !

الشـــاب : [**فى رعب**] ماذا تقولين ؟

العـــروس : ابحث عن امرأة أخرى يمكنك أن تضفر شعرها .

الشـــاب : [**كأنما يستيقظ من وهمه**] لا .

العـــروس : كيف أتركك تدخل مخدعى بعد أن ولجه آخر ؟

الشـــاب : آهٍ ! [**يغطى وجهه بيديه**]

العـــروس : يومان فقط كانا كافيين لأحس بأننى مكبلة بالأصفاد . أسمع الآن أنين طفل يتعقبنى فى المرايا وبين دانتيل فراشى .

الشـــاب : ولكن دارى قائمة الآن ، تحسست جدرانها بيدى . أسأتركها للهواء يحيا فيها ؟

العـــروس : وأى ذنب اقترفته أنا ؟ أتريد أن أذهب معك ؟

الشـــاب : [**يجلس على مقعد مقهوراً**] أجل ، أجل . تعالى معى .

العـــروس : أية مرآة ، أية منضدة أقرب إليك منى .

الشـــاب : ماعساى أن أفعل الآن ؟

العـــروس : عليك بالحب !

الشـــــاب : أحب من ؟

العـــروس : ابحث . فى الشوارع ، فى الريف .

الشـــــاب : [محتداً] كيف أبحث وأنت لى ، هنا ، بين يدى ، فى نفس هذه اللحظة . وليس بوسعك أن تصدينى لأننى أتيت مبللاً بمطر خمس سنوات ، ولأن بعدك لاشئ هنالك ، لأننى بعدك ليس بوسعى أن أحب ، لأن بعدك انتهى كل شئ .

العـــروس : إليك عنى .

الشـــــاب : ليس خداعك ما يؤلمنى . فأنت لست شريرة . أنت لاتعنين شيئاً . إنما يؤلمنى كنزى المفقود وحبى بلا هدف . ولكنك ستأتين !

العـــروس : لن أذهب معك !

الشـــــاب : حتى لا أضطر أن أبدأ من جديد ، أشعر أننى نسيت حتى الحروف .

العـــروس : لن أذهب معك !

الشـــــاب : حتى لا أموت ، أتسمعين ؟ حتى لا أموت .

العـــروس : دعنى .

الخـادمـة : [تدخل] آنستى ! سيدى !

[يترك الشاب العروس]

الأب : [يدخل] من يصرخ ؟

العروس : لا أحد .

الأب : [ينظر إلى الشاب] أيها السيد ...

الشاب : [مهزوماً] كنا نتحدث .

العروس : [لأبيها] لزام على أن أعيد إليه الهدايا ... [يومئ الشاب] فليس من العدل أن ... ، كلها فيما عدا المروحتين ... اللتين تهشمتا .

الشاب : [يتذكر] مروحتان .

العروس : إحداهما زرقاء ...

الشاب : وبها ثلاث جندولات غارقة ...

العروس : والأخرى بيضاء .

الشاب : فى وسطها رأس نمر و ... هما الآن محطمتان ؟

الخادمة : آخر قوائمها حملها صبى الفحام .

الأب : كانتا مروحتين جيدتين ... ، إلاَّ أن ...

الشاب : [مبتسماً] لايهم فقدهما . فى هذه اللحظة نفسها تلفحانني بهواء يشوى جلدى .

الخادمة : [للعروس] وثوب العروس أيضاً .

العروس : بالطبع .

الخادمة : [باكية] إنه هناك فى الداخل ، على المانيكان .

الأب : [للشاب] وددت لو ...

الشاب : لايهم .

الأب : على أية حال ، اعتبر نفسك فى منزلك .

الشاب : شكراً !

الأب : [**ينظر دائماً فى اتجاه الشرفة**] لابد أنه الآن فى بدايته . معذرة [**للعروس**] : أتأتين معى ؟

العروس : نعم . [**للشاب**] : وداعاً !

الشاب : وداعاً ! [**يخرجان**] .

صوت : وداعاً !

الشاب : وداعاً ... وبعد ؟ ماعساى أن أفعل بهذه الساعة المقبلة والتى أجهلها ؟ إلى أين أذهب ؟

[يعتم ضوء المسرح . تتخذ المصابيح التي تحملها الملائكة لوناً أزرق . يدخل ضوء القمر من الشرفات ثم تزداد شدته شيئاً فشيئاً . يُسمع أنين]

الشاب : [**ينظر إلى الباب**] : من ؟

[يدخل المانيكان وعليه ثوب العروس . وجه وحاجبا وشفتا هذه الشخصية مذهبة كمانيكانات المحلات الراقية .]

المانيكان : من يلبس الفضة الغراء

فضة العروس الغضة السمراء ؟

ذيلى فى البحر ضالْ

ويلبس القمر زهر البرتقال .

خاتمى ، سيدى ، خاتمى الذهبى القديم ،

غاص فى رمال المرآة .

من يلبس ثوبى ؟ من ؟

سيلبسه النهر الكبير ليتزوج البحر .

الشـــــاب : ماذا تغنى ؟ قل !

المانيكان : أغنى

موتاً لم أنله قط

وألم طرحة مهملة ،

ببكاء من حرير وريش .

وثيابا داخلية أضحت

باردة كثلج أسود ،

دون أن تستطيع الأطرزة

أن تبارى الزبد .

وقماشاً يستر البدن

مآله الماء العكر .

ويدل الهمس الدافئ ،
صلب مطر مهشماً .
من يلبس الثياب الغراء ،
ثياب العروس الفضة السمراء ؟

الشــــاب : يلبسها الهواء المظلم
وهو يلاعب الفجر فى كهفه ،
ويلبس الأسل شرائط الساتان
والقمر جوارب الحرير .
دع الطرحة للعناكب
لتأكل وتغطى
الحمام ، الواقع فى شرك
خيوطها الجميلة .
لن يلبس ثوبك أحد ،
يا شكلاً أبيض وضوءاً حائراً ،
فالحرير والجليد كانا
صروحاً هشة .

المانيكان : ذيلى فى البحر ضال .

الشــــاب : والقمر سيلبس فى جزع تاج زهر البرتقال .

المانيكان : [غاضباً] : لا أريد . فحريرى

خيطاً خيطاً وقطعة قطعة ،
يهفو إلى دفء فم .
ويسأل قميصى
أين اليدان الدافئتان
تقبضان على خصرى ؟

الشـــاب : أنا أيضاً أسأل . صه !

المانيكان : كذبت . فالذنب ذنبك
يا مهراً من رصاص وزبد ،
كُسر الهواء فى لجامك
وكُبل البحر على صهوتك .
كان بوسعك أن تصير صهيلاً
لكنك بحيرة نائمة ،
بأوراقها الجافة ولبلابها
حيث يفسد هذا الثوب .
خاتمى ، سيدى ، خاتمى الذهبى القديم .

الشـــاب : غاص فى رمال المرآة .

المانيكان : لم لم تأت من قبل ؟
كانت تنتظر عارية كحية من ريح
ارتخت أطرافها .

الشـــاب : [ينهض] : صه ! دعنى ! اذهب !
وإلا حطمت غاضباً
حروف الفل
التى يخفيها حريرك الأبيض
اذهب إلى الشارع بحثاً
عن كتفى عذارء ليلية
أو قيثارات تبكيك
ست صرخات موسيقية طويلة .
لن يلبس ثوبك أحد .

المانيكان : سأتبعك دائماً.

الشـــاب : مطلقاً !

المانيكان : دعنى أحدثك .

الشـــاب : لا تحاول .
لا أريد أن أعلم .

المانيكان : اسمع .
انظر .

الشـــاب : ماذا ؟

المانيكان : ثوب صغير
سرقته من الخياطة .

[يظهر له ثوبا وردياً لطفل]

ينابيع اللبن الأبيض

تبلل حريرى بالكرب

وألم نحلة أبيض

يغمر قفاى بأشعته

ابنى . أريد ابنى

ترسمه على تنورتى

هذه الأشرطة التى تفجرنى

سعادة عند خصرى .

وهو طفلك .

الشـــاب : نعم ، ولدى .

إليه تأتى وتلتقى

طيور حلم مجنون

ويسامين تعقل .

[مهموماً] وإن لم يأت ولدى ؟

الطائر الذى يشق الهواء

لا يستطيع الشدو .

المانيكان : لا يستطيع .

الشـــاب : وإن لا يأتى ولدى ؟

الزورق الذى يشق الماء

لا يستطيع العوم .

المانيكان : لا يستطيع

الشـــاب : يسكن جنك المطر ،

ويضحك بحر الحجر

آخر الأمواج المظلمة .

المانيكان : من سيلبس ثوبى ؟ من ؟

الشـــاب : [**بحماس وشدة**] : تلبسه المرأة التى تنتظر على

شاطئ البحر .

المانيكان : تنتظرك دائماً ، أتذكر ؟

كانت فى دارك مختفية .

كانت تحبك ورحلت .

يغنى طفلك فى مهدها

وإذ هو طفل من جليد

ينتظر دمك أنت .

اسع وفتش عنها مسرعاً

وسلمها لى عارية

حتى يستطيع حريرى ،

خيطاً خيطاً وقطعة قطعة ،

أن يفض الوردة التى تغطى

بطنها الأشقر اللحم .

الشـــاب : سوف أحيا !

المانيكان : بلا انتظار .

الشـــاب : يغنى ولدى فى مهدها

وإذ هو طفل جليد

يرجو دفئاً وعوناً .

المانيكان : هات الثوب .

الشـــاب : [**برفق**] : كلا .

المانيكان : [**ينتزعه منه**]: أريده .

بينما أنت تقهر وتبحث

سأشدو بأغنية

عن تجاعيدك الغضة . [**يقبله**]

الشـــاب : فى التو . أين هى ؟

المانيكان : فى الشارع .

الشـــاب : قبل أن يغسل القمر الأحمر

بدم الخسوف

تمام حناياها

سأحضر امرآتى عارية

ترتعش حباً .

[تشتد زرقة الضوء . تدخل الخادمة من اليسار تحمل شمعدانا ، بينما يعود المسرح إلى ضوئه المعتاد شيئاً فشيئاً ، دون إهمال ضوء الشرفة الأزرق . الشرفة مفتوحة و على مصراعيها فى خلفية المسرح . فى اللحظة التى تدخل فيها الخادمة يتجمد المانيكان فى مكانه كما لو كان فى واجهة أحد المحال . ينحنى رأسه إلى الأمام ويداه مرفوعتان على نحو رقيق جداً . تترك الخادمة الشمعدان على صوان الزينة . وهى دائماً مهمومة وتنظر إلى الشاب . فى هذه اللحظة يدخل الشيخ من أحد الأبواب إلى يمين خشبة المسرح الضوء .]

الشـــاب : [**فى ذهول**] : أنت !

الشـــيخ : [**يظهر اضطراباً عظيماً ويرفع يديه إلى صدره . يحمل منديلاً حريراً فى يده**] : نعم ، أنا [**تخرج الخادمة مسرعة**]

الشـــاب : [**فى فظاظة**] : لا أحتاج إليك فى شئ .

الشـــيخ : تحتاجنى الآن أشد من أى وقت مضى . آه ، لقد جرحتنى ! لم صعدت ؟ كنت أعلم أن ذلك سيحدث . آه ... !

الشـــاب : [**فى عذوبة**] : ما بك ؟

الشـــيخ : [**بحـدة**] : لاشئ . مـا بى شئ . جـرحت ، ولكن ...
يجف الدم ، وما فات فات [***يشرع الشاب فى السير***]
إلى أين ؟

الشــاب : [**فى سرور**] : سأبحث .

الشــيخ : تبحث عمن ؟

الشــاب : عن المرأة التى تحـبنى . لقـد رأيتـهـا فى دارى ، ألا
تتذكر ؟

الشــيخ : لا أتذكر . ولكن انتظر !

الشــاب : كلا . سأذهب فى التو .
[**يأخذه الشيخ من ذراعه**]

الأب : [**يدخل**] : يا ابنتى ! يا ابنتى ! أين أنت ؟ ابنتى !
[**يسمع صوت بوق السيارة**]

الخادمـة : [**في الشرفة**] : آنستى ! آنستى !

الأب : [**متجهاً صوب الشرفة**] : ياابنتى ! انتظرى ! انتظرى !
[**يخرج**]

الشــاب : وأنا أيضـاً ذاهب . فـأنا مـثلها أفـتش عن زهرة دمى
الجديدة [**يخرج مهرولاً**]

الشــيخ : انتظر ! انتظر ! لاتتركنى جـريحاً ! انتظـر ! انتظر !
[**يخرج ويتلاشى صياحه**]

الخادمة : [تدخل مسرعة وتأخذ الشمعدان وتخرج من ناحية الشرفة] : آه ، الآنسة يا إلهى ، الآنسة !

[يسمع صوت بوق سيارة بعيد]

المانيكان : خاتمى ، سيدى ، خاتمى الذهبى القديم

[سكون]

غاص فى رمال المرآة .

من سيلبس ثوبى ؟ من ؟

[سكون . يبكى]

سيلبسه النهر الكبير ليتزوج البحر

[يتهاوى ويبقى ممدداً على الأريكة]

صوت : [من الخارج] : انتظرررررر ... !

(ستار سريع)

الفصل الثالث
المنظر الأول

غابة . جذوع شجر كبيرة . فى الوسط مسرح مصغر تحيطه ستائر من طراز الباروك . الستار مسدل . يربط سلم صغير المنصة بخشبة المسرح . عندما يرتفع الستار يمر بين جذوع الشجر شخصان متشحان بالسواد ورأساهما أبيضان ، بلون الجير وأيديهما بيضاء أيضاً . تسمع موسيقى بعيدة . يدخل البهلوان . يرتدى زياً مقسماً بين الأبيض والأخضر ويمسك بقناع فى كل من يديه اللتين يخبئهما وراء ظهره . يتحرك على نحر تشكيلى مثل الراقص .

البهلوان : يسير الحلم فوق الزمن
طافياً كزورق شراعى .
ليس لأحد أن يفلق الحَبّ
فى قلب الحلم .

[يضع على وجهه قناعاً ذا تعبير غاية فى السعادة]

آهٍ ، كيف يغنى الفجر ، كيف يغنى !
أية كتل من ثلج أزرق يقيمها !

[يرفع القناع]

يسير الزمن فوق الحلم
غائصاً حتى شعره .
الأمس والغد يأكلان
زهور حداد قاتمة .

[يضع على وجهه قناعاً لنائم]

آه ، كيف يغنى الليل ، كيف يغنى !
وأية أيكة من شقائق النعمان يقيمها !

[يخلع القناع]

على نفس العمود
– والحلم والزمن متعانقان –
يعبر أنين الطفل ،
اللسان المحطم للشيخ

[يضع القناع الأول]

آه ، كيف يغنى الفجر ، كيف يغنى !

[يلبس القناع الثانى]

أية أيكة من شقائق النعمان يقيمها !
وإذا تخيل الحلم أسواراً
فى سهل الزمن ،

يوحى الزمن إليه

بأنه يولد فى ذات اللحظة .

آه ، كيف يغنى الليل ، كيف يغنى !

أية كتل من ثلج أزرق يقيمها !

[منذ هذه اللحظة وحتى نهاية المنظر ، يسمع صوت نفير خفيض على فترات متساوية كخلفية . تدخل فتاة تتشح بالسواد ، ترتدى ملاءة يونانية . تمشى قفزاً وبيدها إكليل .]

الفتاة : من يقول ،

من سيقول ؟

ينتظرنى عاشقى

فى قاع البحر .

البهلوان : **[فى ملاحة]** :كذب !

الفتاة : حقيقة !

فقدت رغبتى ،

فقدت الكشتبان

وفى الجذوع الكبيرة

عدت فوجدتهما .

البهلوان : **[ساخراً]** : حبل طويل جداً

طويل للنزول .

الفـتــاة : قرش وأسماك

وأغصان مرجان

البـهلوان : أسفل .

الفـتــاة : أسفل جداً .

البـهلوان : نائماً .

الفـتــاة : أسفل .

رايات ماء أخضر

تنصبه قبطاناً .

البـهلوان : [**بصوت مرتفع وفى ملاحة**] : كذب .

الفـتــاة : [**بصوت مرتفع**] : حقيقة .

فقدت إكليلى ،

فقدت الكشتبان ،

رفى نصف التفاتة

عدت فوجدتهما .

البـهلوان : فى التو .

الفـتــاة : فى التو ؟

البـهلوان : سترين عاشقك

فى نصف التفاتة

الريح والبحر .

الفتاة : [**خائفة**] : كذب .

البهلوان : حقيقة .

أنا سأمنحك إياه .

الفتاة : [**فى قلق**] : لن تمنحنى إياه .

فلا أحد يصل مطلقاً

إلى قاع البحر .

البهلوان : [**بأعلى صوته ، كأنه فى سيرك**] : سيدى الرجل ،

تعال !

[يدخل مهرج رائع المظهر ملابسه مليئة بالترتر .

يعطي رأسه المغطى بالبوردة إيحاء بأنها جمجمة .

يضحك ، يقهقه عالياً .]

البهلوان : أنت ستعطى

هذه الفتاج الصغيرة

عريسها من البحر .

المهرج : [**يشمر عن ساعديه**] : إلىَّ بسلم !

الفتاة : [**خائفة**] : حقيقة ؟

المهرج : [**للفتاة**] : لكى أنزل .

[**إلى الجمهور**] : مساء الخير !

البهلوان : برافو !

المهرج : **[إلى البهلوان]** : أنت ، انظر ناحية هناك !

[البهلوان يلتفت وهو يضحك .] هيا ، اعزف !

[يصفق تصفيقاً إيقاعياً]

البهلوان : أعزفُ .

أيها العريس ، أين أنت ؟

[يعزف البهلوان على كمان أبيض بوترين ذهبيين . يجب أن يكون الكمان كبيراً ومسطحاً . يحرك رأسه مع الإيقاع]

البهلوان : **[يغير من صوته]** : بين طحالب البحر الطازجة

أنا ذاهب لأصطاد

قواقع كبيرة

وزنابق من ملح .

الفتاة : **[خائفة من الواقع]** : لا أريد .

المهرج : صه !

[يضحك البهلوان]

الفتاة : **[في خوف إلى المهرج]** : سوف أقفز

على العشب الطويل .

وبعدها نذهب

إلى ماء البحر .

البـهلوان : [مداعباً] : كذب .

الفـتـاة : [إلى المهرج] : حقيقة

[تسير باكية]

من كان يتصور ؟

من يصدق ؟

فقدت إكليلى ،

فقدت الكشتبان .

البـهلوان : [فى شجن] : فى نصف التفاتة

الريح والبحر .

[تخرج الفتاة]

المهـرج : [مشيراً بيده] : هناك .

البـهلوان : أين ؟ لمه ؟

المهـرج : لتمثل .

طفل صغير

يريد أن يستبدل

قطعة خبزه

بزهور من الفولاذ .

البـهلوان : كذب .

المهـــرج : [صارماً] . حقيقة .

فقدت الوردة والانحناءة ،

فقدت قلادتى ،

وفى عاج حديث

عدت فوجدتها .

البـهلوان : **[متخذاً وضع ممثل السيرك ، وكأنما يسمعه طفل] :**

سيدى الرجل ، تعال ! **[يبدأ فى السير]**

المهـــرج : **[بصوت مرتفع ، ناظراً إلى الغابة ومتقدما البهلوان] :**

لاتصرخ

صباح الخير !

[فى صوت خفيض]

هيا !

اعزف .

البـهلوان : أعزف ؟

[بصوت مرتفع] فالساً .

المهـــرج : **[يبدأ البهلوان فى العزف . فى صوت خفيض]**

أسرع .

[بصوت مرتفع]

أيها السادة :

سوف أثبت ...

البهلوان : أنه فى عاج من سحاب

عاد فوجدها .

المهرج : سوف أثبت ... [**يخرج**]

البهلوان : [**خارجاً**] : العجلة التى تدور

عجلة الريح والبحر .

[تسمع أصوات النفير . تدخل فتاة آلة الطباعة . ترتدى ثياب التنس وقبعة بلون حاد . فوق ثوب التنس ترتدى عباءة طويلة . تأتي في صحبة القناع الأول التي ترتدى ثوباً طراز ١٩٠٠ له ذيل طويل لونه فاقع الصفرة ، ولها شعر حريرى أصفر مسترسل كأنه عباءة وتلبس قناعاً أبيض من الجير وقفازين طويلين من نفس اللون وقبعة صفراء وكل صدرها مغطي بالترتر المذهب . والأثر الذى ينبغي أن تخلفه هذه الشخصية يجب أن يكون كأثر شعلة متأججة فوق خلفية من اللون الأزرق بدرجاته في ضوء القمر ، ومن جذوع الشجر في الظلام . تتحدث (من تقوم بهذا الدور) بلكنة إيطالية خفيفة .]

القناع : [**ضاحكة**] : إنه لرائع حقاً !

كاتبة الآلة : ورحلت عن داره . أتذكر أن كانت ثمة زوبعة صيف عاتية مساء يوم رحيلى وكان قد مات ابن البوابة . قال لى : « هل ناديتنى ؟ » فأجبته مغلقة عينى : « كلا » . ثم عندما وصل الباب ، قال لى : « أتحتاجين إلى ؟ » فقلت له : « لا ، لا أحتاجك » .

القناع : جميل !

كاتبة الآلة : كان دائماً ما ينتظرنى واقفاً طوال الليل إلى أن أطل من النافذة .

القناع : وأنت يا آنستى كاتبة آلة الطباعة ؟

كاتبة الآلة : لم أكن أطل من النافذة . ولكن ... كنت أراه من خلال فتحات خصاص النافذة ... بلا حراك [**تخرج منديلا**] وكانت حال عينيه ... كان الهواء يدخل كالسكين ، بيد أننى لم يكن بوسعى أن أحادثه .

القناع : لم ياسنيوريتا ؟

كاتبة الآلة : لأنه كان يفرط فى حبى .

القناع : « يا إلهى » [1] كان مثل الكونت أرتورو الإيطالى . آه ، الحب !

كاتبة الآلة : حقيقة !

القناع : فى « بهو » [2] أوبرا باريس ثمة شرفة ضخمة تطل

(١) فى الأصل ، بالإيطالية .

(٢) Foyer

على البحر . كان الكونت أرتورو يأتى فى قارب وبين شفتيه زهرة كامليا ومعه طفله ، بعد أن هجرتهما . ولكننى كنت أغلق الستائر وألقى إليهما بماسة . آهٍ ، ما أرقه من عذاب ياصديقتى ! [**تبكى**] كان الكونت وطفله يتضوران جوعاً وينامان بين الأغصان ومعهما كلب كان قد أهدانيه سيد من روسيا . [**فى حدة وتوسل**] ألديك كسرة خبز لى ؟ للطفل الذى تركه الكونت أرتورو ليموت فى الجليد ؟ ... [**مهتاجة**] بعد ذلك ، ذهبت إلى المستشفى وهناك علمت أن الكونت تزوج سيدة عظيمة من روما ... ، وبعدها استجديت الناس وضاجعت الرجال الذين يفرغون الفحم على أرصفة الموانئ .

كاتبة الآلة : ماذا تقولين ؟ لم تتكلمين ؟

القناع : [**بعد أن هدأت**] : أقول إن الكونت أرتورو كان يحبنى إلى حد أنه كان يبكى ومعه طفله خلف الستائر ، بينما كنت أن كهلال من فضة بين المنظار المعظم ومصابيح الغاز المتألقة تحت قبة أوبرا باريس العظيمة .

كاتبة الآلة : لذيذ ! ومتى يأتى الكونت ؟

القناع : ومتى يأتى صديقك ؟

كاتبة الآلة : سيتأخر !

القناع : وأرتورو أيضاً سيتأخر . في يده اليمنى أثر طعنة خنجر .. بسببي ، بالطبع . [**تريها يدها**] ألا ترينها ؟ [**تشير إلى عنقها**] وهنا أخرى . أترينها ؟

كاتبة الآلة : نعم ، ولكن لماذا ؟

القناع : لماذا ؟ لماذا ؟ ماذا أفعل أنا بلا جروح ؟ لمن هي جروح الكونت ؟

كاتبة الآلة : هي جروحك ، في الحقيقة ! منذ خمس سنوات وهو ينتظرني ، لكن ... ما أجمل الانتظار بيقين اللحظة التي أصبح فيها محبوبة !

القناع : وهل هو يقين ؟

كاتبة الآلة : نعم ! لذا فلنضحك ! وأنا صغيرة كنت أخبئ الحلوى لآكلها فيما بعد .

القناع : ها ، ها ، ها . أليس كذلك ؟ طعمها ألذ .

[**تسمع الأبواق**]

كاتبة الآلة : [**تبدأ السير**] : إذا حضر صديقي – وهو طويل القامة جداً وكل شعره مجعد ، مجعد على نحو خاص – عليك أن تتصرفي كأنك لا تعرفينه .

القناع : بالطبع ياصديقتي ! [**تمسك بذيل فستانها**]

[يدخل الشاب مرتديا بذلة Niker رمادية اللون وجوارب مربعة زرقاء]

البهلوان : **[بدخل]** : هيه ؟

الشاب : ماذا ؟

البهلوان : إلى أين تذهب ؟

الشاب : إلى دارى .

البهلوان : **[متهكماً]** : حقيقة ؟

الشاب : طبعاً . **[يبدأ السير]**

البهلوان : هيه ! لايمكنك أن تمر من هناك !

الشاب : هل أغلقوا الطريق ؟

البهلوان : السيرك مقام هناك .

الشاب : حسن ! **[يعود]**

البهلوان : يغص بنظارة ساكنين نهائياً . **[بعنوبة]** ألا يريد السيد الدخول ؟

الشاب : نعم ، لا أريد .

البهلوان : **[فى مبالغة]** : بنى فيرجيل الشاعر ذبابة من ذهب فمات جميع الذباب الذى سمم هواء نابولى . هناك ، فى الداخل ، فى السيرك ، ثمة ذهب رخو ، كافٍ لعمل تمثال بنفس ... حجمك .

الشــــاب : هل سد طريق المنتزة أيضاً ؟

البــهلوان : توجد هناك العربات وأقفاص الثعابين .

الشــــاب : إذاً . سأعود من حيث أتيت . [**يعاود السير**]

المهـــرج : [**يدخل من الجانب المقابل**] : ولكن إلى أين تذهب ؟
ها ، ها ، ها !

البــهلوان : يقول إنه ذاهب إلى داره .

المهـــرج : [**يصفع البهلوان صفعة سيرك**] : خذى أيتها الدار !

البــهلوان : [**يخر على الأرض صارخاً**] : آهٍ ، إنها تؤلمنى ،
تؤلمنى .

المهـــرج : [**إلى الشاب**] : هيا !

الشــــاب : [**فى ضيق**] : ولكن هل تريد أن تقول لى أى عبث
هذا ؟ لقد كنت ذاهباً إلى دارى ، أعنى : ليس إلى
دارى وإنما إلى دار أخرى ، كى ...

المهـــرج : [**يقاطعه**] : كى تبحث .

الشــــاب : نعم ، لأننى أحتاج هذا . كى أبحث .

المهـــرج : [**مسروراً**] : ابحث . در نصف دورة . وستجده .

صوت كاتبة [**تغنى**] : إلى أين تذهب ياحبيبى ،

الآلــــة : ياحبيبى ،
والهواء فى كوب ،

والبحر فى زجاج ؟

[ينهض البهلوان . يقف الشاب وظهره لهما . يخرجان دون أن يولياه ظهريهما وعلى أطراف أصابعهما على إيقاع رقصة وكلّ إصبعه على شفتيه]

الشـــاب : [**مندهشاً**] : إلى أين تذهبين ياحبيبتى ،

أى حياتى ، أى حبيبتى ،

والهواء فى كوب

والبحر فى زجاج ؟

كاتبة الآلة : [**تدخل**] : أين ، أين من ينادينى ؟

الشـــاب : أى حياتى !

كاتبة الآلة : معك .

الشـــاب : علىَّ أن أحملك عارية ،

يازهرة ذبلت وجسداً طاهراً ،

إلى حيث يرتعد الحرير

من البرد .

فملاءات بيضاء تنتظرك .

هيا بنا ، سريعاً . فى التو .

قبل أن تئن الأغصان

عنادل صفراء .

كاتبة الآلة : أجل ، فالشمس حدأة .

بل : صقر من زجاج .

لا : فالشمس جذع شجرة كبير

وأنت ظل نهر .

كيف إذا عانقتنى ، قُل ،

لا تولد زنابق وأسل

وكيف لاتذهب ذراعاك

بلون فستانى ؟

حبيبى : خلنى فى الجبل

مترعة بسحابة وبالندى ،

كى أراك عظيماً وحزيناً

تغطى سماء نائمة .

الشـــــاب : لاتتحدثى هكذا ياطفلتى . هلمى .

لا أريد زمناً ضائعاً .

فدم طاهر ودفءعميق

يحملاننى إلى مكان آخر .

أريد أن أحيا .

كاتبة الآلة : مع من ؟

الشـــــاب : معك .

كاتبة الآلة : ما هذا الذى يسمع بعيداً جداً ؟

الشـــــاب : ياحبيبتى ،

إنه اليوم يعود ،

ياحبيبتى !

كاتبة الآلة : [مبتهجة وكأنها تحلم] :

أيها العندليب المغنى ،

ياعندليب المساء الرمادى

على غصن الهواء

أيها العندليب . شعرت بك .

أريد أن أحيا .

الشـــــاب : مع من ؟

كاتبة الآلة : مع ظل نهر .

[تشعر بضيق وتحتمى بصدر الشاب]

ما هذا الذى يسمع من بعيد ؟

الشـــــاب : ياحبيبتى ،

إنه الدم فى حلقى ،

ياحبيبتى !

كاتبة الآلة : هكذا دائماً ، دائماً ،
في الصحو والمنام .
الشـــــاب : ليس هكذا أبداً ، أبداً !
هيا بنا من هذا المكان .
كاتبة الآلة : انتظر !
الشـــــاب : الحب لاينتظر !
كاتبة الآلة : [**تنفصل عنه**] : أين تذهب ياحبيبي ،
والهواء فى كوب
والبحر فى زجاج ؟

[تتجه نحو سلم المسرح المصغر ، تنزاح ستائر هذا المسرح وتظهر مكتبة الفصل الأول فى حجم أصغر وبدرجات ألوان شاحبة . تظهر شخصية القناع الأصفر على المنصة تحمل منديلاً مطرزاً وتستنشق زجاجة أملاح بدون توقف]

القـــنــاع : [**لكاتبة الآلة**] : فى هذه اللحظة نفسها هجرت الكونت إلى الأبد . ومكث هناك فى الخلف مع طفله . [**تهبط السلم**] أنا واثقة من أنه سيموت . ولكنه

أحبنى حباً ! أحبنى حباً ! [**تبكى إلى كاتبة الآلة**]
أما كنت تعلمين ؟ سيموت طفله تحت الجليد . لقد
هجرته . ألا ترين كم أنا سعيدة ؟ ألا ترين كيف
أضحك ؟ [**تبكى**] والآن سيبحث عنى فى كل مكان .
[**تسقط على الأرض**] سأختبئ داخل شجر التوت .
[**بصوت خفيض**] داخل أشجار التوت . أتحدث هكذا
لأننى لا أريد أن يسمعنى أرتورو . [**بصوت مرتفع**]
لا أريد ! قلت لك إننى لا أحبك ! [**تذهب باكية**] أجل ،
أنت تحبنى ، ولكننى لا أحبك !

[يدخل خادمان يرتديان زياً باللون الأزرق ، ووجهاهما شديدا الشحوب . يتركان إلى يسار خشبة المسرح مقعدين لونهما أبيض . داخل المسرح الصغير يمر خادم الفصل الأول وهو يسير دائماً على طرفى قدميه .]

كاتبة الآلة : [**للخادم وهى تصعد سلم المسرح الداخلى**] : إذا
جاء السيد فليدخل . [**داخل المسرح الصغير**] وإن
كان لن يحضر حتى يتأتى ذلك .
[**يبدأ الشاب فى صعود السلم ببطء**]

الشـــــاب : [فى المسرح الداخلى ، ويحب] : أنت مسرورة هنا ؟

كاتبة الآلة : هل كتبت الرسائل ؟

الشـــــاب : الدور العلوى أفضل . تعالى !

كاتبة الآلة : أحببتك حباً !

الشـــــاب : أحبك حباً !

كاتبة الآلة : سأحبك حباً !

الشـــــاب : يبدو لى أننى أحتضر بدونك . أين أذهب لوهجرتنى . لا أتذكر شيئاً . ليس للأخرى وجود . بينما أنت موجودة ، لأنك تحبيننى .

كاتبة الآلة : لقد أحببتك ياحبيبى ، سأحبك دائماً !

الشـــــاب : الآن ...

كاتبة الآلة : لماذا تقول الآن ؟

[يظهر الشيخ على خشبة المسرح . يرتدى زياً أزرق ويمسك بمنديل كبير به بقعة دم ، يرفعه إلى صدره ووجهه . يظهر اضطراباً ويراقب فى أناة ما يحدث على المسرح المصغر .]

الشـــــاب : كنت أنتظر وأموت .

كاتبة الآلة : كنت أموت من الانتظار .

الشـــاب : لكن الدم يضرب صدغى بعقيداته النارية الصغيرة والآن أنت لى أخيراً هنا .

صـــوت : [**فى الخارج**] : أى بنى ، أى بنى !

[يعبر الطفل الميت المسرح الداخلى . يأتى وحده ويخرج من أحد الأبواب إلى يسار المسرح]

الشـــاب : نعم ، ياولدى . اجر داخلى كنملة وحيدة داخل صندوق مغلق . [**إلى كاتبة الآلة**] قليلاً من الضوء لولدى ، من فضلك . ما أصغره ... يضغط بأنفه الصغير زجاج قلبى ، ومع هذا ، يحيا بلا هواء .

القناع الأصفر : [**تدخل**] : أى بنى !

[يدخل قناعان آخران ويشهدان ما يحدث]

كاتبة الآلة : [**فى تحكم وجفاف**] : هل كتبت الرسائل ؟ إنه ليس ابنك ، بل أنا . كنت تنتظر وتركتنى أرحل ، ولكنك كنت تعتقد دائماً أنك محبوب . هل ما أقول كذب ؟

الشـــاب : [فى نفاد صبر] : كلا ولكن ...

كاتبة الآلة : أنا ، فى المقابل ، كنت أعلم أنك لن تحبنى أبداً . ومع هذا انتشلت حبى وأبدلتك ورأيتك فى أركان بيتى . [**فى تأجج**] أحبك ، لكن حبى يزداد وأنا بعيدة عنك .

ومن فرط هروبى أحتاج إلى تأمل البحر كى أتمكن من تذكر اختلاجة ثغرك .

الشـــيخ : لأنه ، وقد بلغ عشرين عاماً ، يمكنه أن يبلغ عشرين قمراً .

كاتبة الآلة : [**فى شاعرية**] : عشرين وردة ، عشرين شمالاً جليدياً .

الشـــاب : [**مغتاظاً**] : صه . ستأتين أنتِ معى . لأنك تحبيننى ولأننى لابد أن أعيش .

كاتبة الآلة : نعم ، أحبك ، بيد أن حبى أشد من هذا . ليست لك عينان لترانى عارية ، ولا فم لتقبل جسدى الذى لاينتهى أبداً ، إليك عنى . من شدة حبى ليس فى وسعى أن أتأملك .

الشـــاب : ولا دقيقة واحدة هيا بنا ! [**يشدها من رسغيها**]

كاتبة الآلة : إنك لتؤلمنى ، أى حبيبى !

الشـــاب : هكذا تحسين بى .

كاتبة الآلة : [**فى عذوبة**] : انتظر ... سأذهب ... دائماً . [**تعانقه**]

الشـــيخ : هى ستذهب . اجلس ياصديقى . انتظر .

الشـــاب : [**مغموماً**] : كلا .

كاتبة الآلة : أنا الآن طويلة جداً . لم تركتنى ؟ كدت أهلك من القر ،

واضطررت أن أفتش عن حبك حيث لا يوجد بشر .
بيد أنني باقية معك . دعني آهبط شيئاً فشيئاً حتى
أصل إليك .

] يظهر المهرج والجوكر . يحمل المهرج ستارة والجوكر كماناً أبيض . يجلسان على الكرسيين [

المهـــــرج : موسيقى

الجـــوكـــر : موسيقى أعوام .

المهـــــرج : أقمار وبحار لم تتفتح .

الجـــوكـــر : تتراجع ؟

المهـــــرج : كفن الهواء .
ومُوسيقى كمانك .

الشـــــاب : [**مستيقظاً من حلم**] : هيا بنا !

كاتبة الآلة : أجل ... أهذا أنت حقيقة ؟ هكذا ، بمثل هذه السرعة ، دون أن نتذوق على مهل هذه الفكرة الجميلة : غداً ؟
ألا تأسف على ؟

الشـــــاب : أعلى ، ثمة مايشبه العش ويسمع شدو العندليب ... ،
حتى وإن لم يسمع ، وإن اصطدم الخفاش بالزجاج ...

كاتبة الآلة : أجل ، أجل ، لكن ...

الشـــاب : [فى حدة] : ثغرك ! [يقبلها]

كاتبة الآلة : فيما بعد ...

الشـــاب : [فى تأجج] : فى الليل أفضل !

كاتبة الآلة : سأذهب .

الشـــاب : بلا تأخير !

كاتبة الآلة : أود ! ... استمع .

الشـــاب : هيا بنا !

كاتبة الآلة : لكن ...

الشـــاب : ماذا ؟

كاتبة الآلة : سأرحل معك !

الشـــاب : أى حبيبتى ، سأذهب معك !

كاتبة الآلة : [خجلَى] : فلتمض إذن خمس سنوات !

الشـــاب : آه ! [يرفع يده إلى جبهته]

الشـــيخ : [فى صوت خفيض] : برافو !

[يشرع الشاب فى هبوط السلم ببطء . تمكث كاتبة الآلة فى وضع متصلب على خشبة المسرح . يظهر الخادم على أطراف أصابعه ويغطيها بملاءة بيضاء كبيرة .]

المهـــرج : موسيقى

الجـوكـر : موسيقى أعوام .

المهـــرج : أقمار وبحار لم تتفتح ،

إلى الوراء .

الجـوكـر : كفن الهواء .

المهـــرج : وموسيقى كمانك . [**يعزفان**]

الـقـنـاع : يقبل الكونت صورتى وأنا أمازون .

الشــيخ : لن نصل ، ولكننا سنرحل .

الشـــاب : [**يائساً ، للمهرج**] : الخروج ، من أين ؟

كاتبة الآلة : [**فى المسرح المصغر وكما لو كانت تحلم**]

: حبيبى ، حبيبى .

الشـــاب : [**يرتعد**] : أرنى الباب .

المهـــرج : [**مشيراً إلى اليسار فى تهكم**] : من هنا .

الجـوكـر : [**مشيراً إلى اليمين**] : من هنا

كاتبة الآلة : سأنتظرك ياحبيبى ، سأنتظرك ! عد فى التو !

الجـوكـر : [**بتهكم**] : من هنا .

الشـــاب : [**للمهرج**] : سأحطم أقفاصك وسُتُرك .

أستطيع تسلق الجدار .

الشـــيخ : [مغموماً] : من هنا

الشـــاب : أريد أن أعود . دعونى !

الجـوكـر : تبقى الريح .

المهــرج : وموسيقى كمانك .

[ستار]

« المنظر الثانى »

[نفس مكتبة الفصل الأول . إلى اليسار . ثوب العروس على مانيكان بلا رأس أويدين . حقائب عدة مفتوحة . وإلى اليمين : مائدة .]

[يدخل الخادم والخادمة]

الخادمة : **[فى دهشة]** : حقيقة ؟

الخادم : هى الآن تعمل بوابة ، غير أنها فيما قبل كانت سيدة عظيمة . عاشت حيناً طويلاً من الزمن مع كونت إيطالى واسع الثراء ، والد الطفل الذى دفن منذ قليل .

الخادمة : يا للمسكين ! كم كان مظهره رائعاً !

الخادم : إلى تلك الحقبة يرجع ما أصابها من داء العظمة . لذا بذلت كل ماتملك فى ملابس الطفل وفى النعش .

الخادمة : وفى الزهور ! أهديتها باقة ورود ، بيد أنهم لفرط صغرها لم يدخلوها حجرته .

الشاب : **[يدخل]** : خوان !

الخــــادم : سيدى ! [**تخرج الخادمة**]

الشـــــاب : أعطنى كوباً من الماء البارد . [**يبدو الشاب يائساً ومنهكاً**]

[**يقدم له الخادم الماء**]

الشـــــاب : ألم تكن هذه النافذة أكبر ؟

الخــــادم : نعم .

الشـــــاب : من المروع أن تكون بهذا الضيق . كان لدارى فناء فسيح ، كنت ألعب فيه بجيادى الصغيرة . وحين رأيته ، وأنا فى العشرين من عمرى ، كان من الصغر إلى حد بدا لى مستحيلاً أن أكون طرت فيه بتلك الكثرة .

الخــــادم : هل سيدى على مايرام ؟

الشـــــاب : أو تكون على مايرام نافورة تضخ ماء ؟ أجب .

الخــــادم : لا أعرف .

الشـــــاب : أو تكون على مايرام دوارة هواء تدور حسبما تشاء الريح ؟

الخــــادم : إن سيدى ليضرب لى أمثلة ... على أنى وددت لو سألتك ، إذا سمح سيدى ... ، هل الريح على مايرام ؟

الشـــــاب : [**بجفاف**] : أنا على مايرام .

الخــــادم : أأصبت كفايتك من الراحة بعد السفر ؟

الشــــاب : أجل .

الخـــادم : شد مايسرتنى ذلك . [**يبدأ فى السير**]

الشــــاب : خوان . هل ملابسى معدّة ؟

الخـــادم : أجل ، ياسيدى : إنها فى حجرة نومك .

الشــــاب : أية بذلة ؟

الخـــادم : الفراك . لقد بسطها على الفراش .

الشــــاب : [**مهتاجاً**] . ارفعها إذاً . لا أريد أن أصعد وأجدها ممددة على فراش كبير وخاوٍ كهذا . لا أدرى من صاحب فكرة شرائه . كان لى من قبل فراش صغير . أتذكر ؟

الخـــادم : أجل ، ياسيدى . المصنوع من خشب الجوز المزخرف .

الشــــاب : أجل . المصنوع من خشب الجوز المزخرف . لكم كان الرقاد فيه طيباً . أذكر ، حين كنت طفلاً ، أنى رأيت قمراً عظيماً يولد خلف سياج قدميه ... أم كان بين قضبان الشرفة ؟ لست متيقناً . أين هو ؟

الخـــادم : قام سيدى بإهدائه .

الشــــاب : [**متفكراً**] : لمن ؟

الخـــادم : [**جاداً**] : إلى كاتبة الآلة القديمة .

[يشرد الشاب بفكره]

الشـــاب : [**مشيراً إلى الخادم بالانصراف**] : حسن .

[**يخرج الخادم**]

الشـــاب : [**فى ضيق**] : خوان .

الخـــادم : [**فى صرامة**] : سيدى .

الشـــاب : لعلك أعددت الحذاء اللامع .

الخـــادم : الحذاء ذو الشريط الحريرى الأسود .

الشـــاب : حرير أسود ... كلا ... أحضر حذاء آخر . [**ينهض**] أمن المعقول أن يكون الهواء فى هذه الدار خانقاً دائماً ؟ سأقص كل زهور الحديقة وخاصةً تلك الدلفى اللعينة التى تتسلق الجدران ، وتلك الأعشاب التى تنبت وحدها فى منتصف الليل ...

الخـــادم : يقولون إن شقائق النعمان والخشخاش تسببان ألم الرأس فى ساعات بعينها من النهار .

الشـــاب : ربما كان ذلك . خذ هذا أيضاً . [**مشيراً إلى المعطف**] اتركه فى غرفة السطح .

الخـــادم : حسناً . [**يتأهب للخروج**]

الشـــاب : ودع الحذاء اللامع . ولكن غير الأشرطة .

[**يدق الجرس**]

الخـــادم : [**يدخل**] : إنهم السادة ، جاءوا للعب .

الشـــاب : [**في ضيق**] : آه !

الخـــادم : [**عند الباب**] : على سيدى أن يرتدى ملابسه .

الشـــاب : [**خارجاً**] : أجل . [**يخرج كالظل تقريباً**]

[يدخل المقـامـرون . وهـم ثلاثة . يرتدون حللاً من طراز الفـراك ، وعـبـاءات طويلة من السـاتان الأبيض تصل حتى أقدامهم]

المقامر (١) : كان ذلك فى مدينة البندقية . عام مقامرة سئ . لكن ذلك الصبى كان مقامراً بحق . كان شاحباً ، ومن شدة شحوبه لم يكن أمامه ، فى اللعبة الأخيرة ، سوى أن يلقى ورقة « آس القلب » ، قلبه هو ، مليئاً بالدم . ألقاها وحين هم يأخذها [**يخفض صوته**] لكى ... [**يتلفت حوله**] وجد « آس الأقداح » ينضح بما فيه ، وفر وهو يعب منه ومعه فتاتان عبر القنال الكبير .

المقامر (٢) : لا تجب الثقة فى الشاحبين أو الملونين من الناس ؛ فهم يقامرون لكنهم حذرون .

المقامر (٣) : فى الهند ، قامرت رجلاً عجوزاً وما إن نفدت آخر

قطرة من دمــه على الورق وبينمــا كنت أتحين لحظة الوثوب عليـه ، خـضب كل الأقـداح باللون الأحـمـر مسـتخدماً نوعاً خاصـاً من الأنيلين وتمكن من الفرار بين الأشجار .

المقامر (١) : نقـامـر ونكسب ، ولكن لكم يكفلنا ذلك ! يشـرب الورق دمـاً لذيذاً في اليـدين ومن الصـعب قطع الخـيط الذى يصلهما .

المقامر (٢) : لكننى أرى أننا مع هذا الرجل ... لم نخطئ .

المقامر (٣) : لا أعرف .

المقامر (١) : [**للمقامر (٢)**] : لن تتـعلم البتة كيف تعرف زبائنك . هذا ؟ إن الحـيـاة لتـفـر منه من مـقلتـيـه اللتين تبللان شفتيه وتصبغان صدارة بذلته الفراك بلون أزرق .

المقامر (٢) : أجل ، لكن تذكر الطفل شبه المحتضر الذى لعب معنا في السويد وكاد يعمى ثلاثتنا بسيل الدم الذى قذفنا به .

المقامر (٣) : الورق . [**يخرج ورق اللعب**]

المقامر (٢) : يجب أن نلزم الرقة معه حتى لايقاوم .

المقامر (٣) : على أنه لا الأخرى ولا الآنسة كاتبة الآلة ستفكران في الحضـور إلى هنا حـتى تمضى خـمس سنوات ، هذا إذا جاءتا .

المقامر (٣) : [**يضحك**] : هذا إذا جاءتنا : ها ، ها ، ها !

المقامر (١) : لا بأس فى أن نسرع فى كل لعبة .

المقامر (٢) : إنه يحتفظ بورقة « آس » .

المقامر (٣) : آس قلب شاب ، قد تنزلق عنه السهام .

المقامر (١) : [**فى سرور وعمق**] : أخبئ سهاماً فى لعبة التسديد على الهدف .

المقامر (٢) : [**بفضول**] : أين !

المقامر (١) : [**فى تهكم**] : فى لعبة التسديد على الهدف ، ولا ترشق فقط أصلب الفولاذ بل وأرق الشاش . وهذا الأصعب فعلاً [**يضحكون**] .

المقامر (٢) : على أية حال ، سنرى .

[**يظهر الشاب ، يرتدى بذلة الفراك**]

الشاب : أيها السادة [**يشد على أيديهم**] لقد بكرتم فى الحضور . الطقس شديد الحرارة .

المقامر (١) : ليس إلى هذا الحد .

المقامر (٢) : [**للشاب**] : أنيق كعادتك .

المقامر (٢) : أناقة أحرى بألا تعاود خلع ملابسك أبداً .

المقامر (٣) : فى بعض الأحيان تناسبنا الملابس إلى حد أننا لانود أن ...

المقامر (٢) : [**مقاطعاً**] : إلى حد أننا لانستطيع أن ننزعها عن أجسادنا .

الشـــاب : [**في ضيق**] : تبالغون فى لطفكم .

[يظهر الخادم حاملاً صينية عليها أقداح يتركها على المنضدة]

الشـــاب : أنبدأ ؟

[يجلس ثلاثتهم]

المقامر (١) : على أهبة الاستعداد

المقامر (٢) : [**بصوت خفيض**] : انتبها جيداً .

المقامر (٣) : ألا تجلس ؟

الشـــاب : نعم ... أفضل اللعب واقفاً .

المقامر (٣) : واقفاً ؟

المقامر (٢) : [**بصوت منخفض**] : سيعوزك الكثير من الانتباه .

المقامر (١) : [**يوزع الورق**] . كم ورقة ؟

الشـــاب : أربعاً . [**يعطيها للآخرين**]

المقامر (٣) : [**بصوت خفيض**] : هذا الدور باطل .

الشـــاب : مـا أبرد هذا الورق ! لاشئ البتـه . [**يتركها على**

المنضدة] وأنتم ؟

المقامر (١) : [**بصوت خفيض**] : لاشئ . [**يعطيه ورقاً مرة أخرى**]

المقامر (٢) : [**ينظر إلى أوراقه**] : لاشئ ! رائع !

المقامر (٣) : [**ينظر إلى أوراقه فى قلق**] : لاشئ ! فلنر !

المقامر (١) : [**للشاب**] : دورك ياسيدى .

الشـــاب : [**مبتهجاً**] : ألعب أنا . [**يرمى ورقة على المنضدة**]

المقامر (١) : [**فى حدة**] وأنا .

المقامر (٢) : وأنا .

المقامر (٣) : وأنا .

الشـــاب : [**مهتاجاً وفى يده ورقة**] : والآن ؟

[يبرز المقامرون الثلاثة أوراقهم ، أما الشاب فيتوقف ويخبئ أوراقه فى يده]

الشـــاب : خوان . قدم شراباً لهؤلاء السادة .

المقامر (١) : [**فى رقة**] : هلا تفضلت سيدى بالورقة ؟

الشـــاب : [**مكروباً**] : أى شراب تفضلون ؟

المقامر (٢) : [**فى عذوبة**] : الورقة ؟

الشـــاب : [**للمقامر (٣)**] : يقيناً أن ألاينسون سينال

استحسانك . إنه شراب ...

المقامر (٣) : من فضلك ... ، الورقة ...

الشـــاب : [**للخادم الذى يدخل فى هذه اللحظة**] : كيف ؟ ألا يوجد ويسكى ؟ [**عند دخول الخادم ، يلتزم المقامرون الصمت وفى أيديهم ورق اللعب**] ولا كونياك ؟

المقامر (١) : [**بصوت خفيض ومختبئاً من الخادم**] : الورقة .

الشـــاب : [**مكروباً**] : الكونياك شراب من يجيد المقاومة من الرجال .

المقامر (٢) : [**محتداً ولكن بصوت خفيض**] : الورقة .

الشـــاب : أم تفضلون « شارتروز » ؟

[**يخرج الخادم**]

المقامر (١) : [**واقفاً ومحتداً**] : أرم من فضلك .

الشـــاب : فى التو . ولكن لنشرب .

المقامر (٣) : [**فى حدة**] : يجب أن نلعب .

الشـــاب : [**محتضراً**] : أجل ، أجل . قليلاً من الشارتروز . فالشارتروز كليلة عظيمة ذات قمر أخضر داخل قلعة فيها شاب وأعشاب بحرية ذهبية .

المقامر (١) : [**فى شدة**] : لزام عليك أن تعطينا الآس .

الشـــاب : [**إلى نفسه**] : قلبى .

المقامر (٢) : [**محتداً**] : فلا مفر من المكسب أو الخسارة . هيا ، ورقتك .

المقامر (٣) : هيا .

المقامر (١) : ارم الورقة .

الشـــــاب : [**فى ألم**] : ورقتى .

المقامر (١) : الأخيرة .

الشـــــاب : سألعب . [**يضع الورقة على المنضدة**]

[فى هذه اللحظة ، بين رفوف المكتبة ، يظهر آس قلب مضئ . يخرج المقامر (١) مسدساً ويطلق سهماً بلا صوت . يختفي آس القلب ويضع الشاب يديه على قلبه]

المقامر (١) : علينا بالفرار .

المقامر (٢) : يجب أن نسرع .

المقامر (٣) : قص ، قص جيداً

[المقامر (١) يقص الهواء بمقص عدة مرات]

المقامر (١) : [**بصوت منخفض**] : هيا .

المقامر (٢) : أسرعا . [يخرجون]

المقامر (٣) : يجب ألاّ ننتظر البتة .

الشـــاب : خوان ، خوان . ينبغى أن أحيا .

الصـــدى : خوان ، خوان .

الشـــاب : [يحتضر] : فقدت كل شئ .

الصـــدى : فقدت كل شئ .

الشـــاب : حبى ...

الصـــدى : حبى .

الشـــاب : [على الأريكة] : خوان .

الصـــدى : خوان .

الشـــاب : أليس هنالك ... ؟

الصـــدى : ليس هنالك ...

صـدى ثانٍ : [أبعد] : أليس هنالك ... ؟

الشـــاب : لا أحد هنا ؟

الصـــدى : هنا ...

صـدى ثانٍ : هنا ...

[يموت الشاب . ويظهر الخادم حاملاً شمعداناً مضيئاً .

تدق الساعة الثانية عشرة . ستار]

ماريانا بينيدا

هذه ترجمة لطبعة دار نشر كاتدرا ، مدريد ، ١٩٩١ ، تحقيق لويس مارتينث كويتينيو . وهى تعتمد المخطوطة الأصلية التى كتبها الشاعر بخط يده فى عام ١٩٢٥ .

جدير بالذكر أن ثمة طبعات أخرى ، راجعها أو صححها محقق المخطوطة ، منها :

- طبعة مجلة لافارسا [١٩٢٨] .
- طبعة دار نشر لوسادا [١٩٣٨] .
- طبعة دار نشر أجيلار [١٩٤٥] .

[المترجم]

مدخل

عمل مبكر لجارثيا لوركا ، يستدعى أساليب الدراماالرومنطقية ، ويحى مناخ النصف الأول من القرن التاسع ، وتتشكل فيه تيمات وموتيفات كرسها فيما بعد مسرح لوركا .

ومن أهم مايُلاحظ فى هذا العمل أمران ، أولهما أن ماريانا بينيدا شخصية تاريخية عاشت فى الثلث الأول من القرن الماضى . أما الأمر الثانى فهو أن قصة هذه الشخصية تحولت إلى سيرة شعبية تغنى وسمع لوركا الأطفال يغنون مقاطع منها لأول مرة حينما كان برفقة والدته فى شوارع غرناطة ، فى طفولته . وبالطبع ، تضمن المسرحية عديداً من أبيات السيرة الشعبية ، وتنتظم عدداً آخر محوّراً [(١)] .

نضجت فكرة هذا العمل فى خيال المؤلف بدءاً بعام ١٩٢٣ ، ومن ثم راح يبحث عن التوثيق التاريخى للأحداث والشخوص والمناخات . يقول لوركا فى خطاب لصديقه جاييجو بورين كتبه فى يونيه ١٩٢٣ :

« أنا فقط أريد الحصول على ترجمة لحياتها وبعض الملاحظات عن المؤامرة . فكما تعلم أهم ما فى مسرحيتى هو الشخصية التى أريد

(١) انظر لويس مارتنيث كويتينيو ، مدريد كاتدرا ، ١٩٩١

بناءها والحكاية التى لاتمت بصلة إلى الحقيقة التاريخية ؛ لأننى أنا الذى ابتدعتها . وأريد منك أن ترشدنى فيما يختص ببدروسا ، وأن تخبرنى أين بوسعى الإحاطة بأحوال غرناطة فى تلك الحقبة . »

الشخصية التاريخية – موجز [٢] :

ولدت ماريانا بينيدا فى غرناطة عام ١٨٠٤ . كان والدها ، دون ماريانو دى بينيدا إى راميرث ، المولود فى جواتيمالا والغرناطى الأصل ، قد تقاعد من بحرية جواتيمالا فى الثامنة والأربعين من العمر لأسباب صحية ورحل إلى غرناطة ، موطن أجداده . بعد عامين التقى فى لاشانة – من قرى قرطبة – بماريا دى لوس دولوريس مونيوث ، وكانت فى السادسة عشرة من عمرها . لم يتمكنا من الزواج فى غرناطة للفارق الاجتماعى والعمرى ، ففرا من هناك إلى أشبيليا ثم عادا إلى غرناطة فى عام ١٨٠٣ . بعد وفاة والدها واختفاء والدتها من حياتها إلى الأبد بعد زواجها من آخر ، عاشت ماريانا فى كنف زوجين بلا أولاد : دون خوسيه دى ميسا ودونيا أورسولا .

فى الخامسة عشرة من العمر ، يأسر جمالها أحد ضباط الجيش فيتزوجها وينجبان ولدين : خوسيه ماريا وأورسولا ماريا . لكن الزوج

(٢) نفس المصدر .

يقضى نحبه قبل أن يتم زواجه عامه الثالث .

فى ذلك الوقت ، كانت إسبانيا تحت الحكم المطلق لفرناندو السابع الذى شن حملات مكثفة لتعقب الليبراليين بعد إلغاء دستور ١٨١٢ . وشاركت ماريانا بدور نشط على مايبدو فى الحركة الليبرالية المحظورة بتأثير من زوجها الذى تعرفت إليه فى الاجتماعات التى كانت تعقد فى منزل والديها بالتبنى .

فى عام ١٨٢٨ ، ألقى القبض فى غرناطة على أحد أعمام ماريانا ، القس بدور جارثيا دى لاسرانا ، وأحد أبناء عمومتها ، فرناندو ألبارث دى سوتو مايور ، ضباط بالجيش أوحى للوركا بشخصية دون بدور دى سوتو مايور ، محبوب ماريانا فى العمل ، وربما أوحى له اسمه « فرناندو » بشخصية الشاب العاشق الوفى فى المسرحية .

فى عام ١٨٣٠ ، يتأهب الليبراليون للقيام بالتمرد فى عدة مدن أندلسية من بينها غرناطة . ويطلبون من ماريانا أن تصنع راية لهم فتعهد بالمهمة إلى عدة نسوة من حى البيازين ، وفى العام التالى ، يشى بهم والد أحد القساوسة الموالين للحركة الليبرالية لرامون بدروسا ، رئيس الشرطة ، فينفخ النسوة رشوة ويأمرهن بإخفاء الراية فى منزل ماريانا ، يتم تحديد إقامة ماريانا ، وإزاء رفضها المساومة على حياتها يصدر عليها حكم الإعدام .

فى السادس والعشرين من مايو عام ١٨٣١ ، ماتت ماريانا بينيدا على المقصلة وهى لم تكد تتم عامها السابع والعشرين ، فى أوج شبابها وحسنها .

وقبل انصرام خمسة أعوام ، انتصرت الحركة الليبرالية ورد لماريانا بينيدا اعتبارها . ونقل رفاتها فى احتفال مهيب إلى كنيسة عذراء أنجوستياس فى نفس اليوم الموافق للذكرى الخامسة لرحيلها .

د. محمد أبو العطا

الشخصيات

ماريانا بينيدا

إيسابل لاكلابيلا

دونيا أنجوستياس

أمبارو

لوثيا

الطفل

الطفلة

الراهبة كارمن

راهبة (١)

راهبة (٢)

الراهبة الأولى

فرناندو

دون بدرو دى سوتومايور

بدروسا

أليجريتو

متآمر (١)

متآمر (٢)

متآمر (٢)

متآمر (٤)

[المرأة التي تحمل الشمعدان ، صبايا ، راهبات]

مقدمة

ستار يمثل قوس « لاس كوتشارس » العربى المندثر ومنظور ميدان « باب الرملة » . المشهد سيكون مؤطراً باللون الأصفر ، كلوحة قديمة ، مضاءة بالألوان الأزرق والأخضر والوردى والسماوى . أحد المنازل المرئية مرسومة عليه مشاهدة بحرية وأكاليل فاكهة . ضوء القمر . فى الخلف ، ستغنى الصبايا ، تصاحبهن موسيقى ، الأغنية الشعبية :

أوه ! ما أحزن ذلك اليوم فى غرناطة ،

يوم أبكى الحجر ،

لرؤية ماريانيتا تموت على المقصلة

لأنها لم تعترف .

جالسة فى حجرتها ،

ماريانيتا لاتنى تفكر :

« لو يرانى بدروسا أطرز

راية الحرية .»

[من إحدى النوافذ تطل أمرأة ومعها شمعة كبيرة مشتعلة يتوقف الخورس] .

المــــــرأة : أيّها الصبية ! ألا تسمعينى ؟

الصـبـيـة : (**من بعيد**) إنى قادمة !

[تحت القوس تظهر صبية تلبس رداء على وتيرة منتصف القرن التاسع عشر ، تغنى]

مثل زنبقة ....

قطفوا الزنبقة ،

مثل وردة قطفوا الزهرة ،

مثل زنبقة قطفوا الزنبقة ،

فغدت نفسها أجمل .

[فى أناة تدخل بيتها. فى الخلفية يستمر الخورس]

أوه ! ما أحزن ذلك اليوم فى غرناطة ،

يوم أبكى الحجر .

[ستار بطىء]

اللوحة الأولى

بيت ماريانا . حوائط بيضاء . فوق منضدة ، سلة فواكه زجاجية مليئة بثمار السفرجل . كل السقف سيكون مليئاً بنفس الفاكهة ، معلقة . فوق الخزانة ، أغصان كبيرة من الورود الحريرية . مساء خريفى . عندما يرفع الستار ، تظهر دونيا أنجوسيتاس ، ، والدة ماريانا بالتبنى ، جالسة ، تقرأ . ترتدى ملابس داكنة . تبدو باردة ورعم فى آن . إيسابل « لاكابيلا » تتزيا بزى شعبى بهيج . وهى فى السابعة والثلاثين من عمرها .

المشهد الأول

كلابيا : [تدخل] والصبية * ؟

أنجوستياس : تطرز وتطرز وئيداً .

رأيتها من ثقب المفتاح .

ولاح الخيط الأحمر ، بين أناملها ،

* من الشائع فى الجنوب الإسبانى استخدام لفظ nina (طفلة ، صبية ، فتاة) للإشارة إلى المرأة من قبيل التدليل : وكذلك التصغير وخاصة اسم العلم ، من قبيل « ماريانيتا » بدلاً من « ماريانا » وهكذا .. (المترجم)

جرح سكين فوق الهواء .

كلابيلا : ما أشد خوفى !

أنجوستياس لاتحدثى بذلك !

كلابيلا : (**فى شغف**) أيفتضح الأمر ؟

أنجوستياس : على الأقل فى غرناطة لا أحد يعلمه .

كلابيلا : لمَ تطرز تلك الراية ؟

أنجوستياس : هى تقول لى

إن أصدقاءها الليبراليين يضطرونها .

(**بنبرة معينة**)

دون بدرو ، على وجه خاص ؛ ومن أجلهم

تعرض نفسها .. لما لا أود تخيله .

كابيلا : لو أنى أفكر كامرأة قديمة ، لقلت إنها ...

ممسوسة .

أنجوستياس : (**فى التو**) عاشقة .

كابيلا : (**فى التو**) حقاً ؟

أنجوستياس : (**فى إبهام**) من يدرى ؟

(بنبرة غنائية)

راحت بسمتها شبه بيضاء ،

كزهرة قديمة متفتحة فى مطرّز .

هى عليها أن تدع تلك الدسائس .

فيم تهمها أمور الطريق !

وإن هى طرزت ، فلتطرز أثوابا

لطفلتها ، لحين تكبر .

فإذا لم يكن الملك ملكاً صالحاً ، ليكن ؛

ليس للنساء أن يبالين .

كلابيلا : هذه الليلة الماضية لم تنم .

أنجوستياس : إنها لا تحيا ! أتتذكرين ؟ ... مساء أمس ...

(يسمع صوت جرس بهيج) .

إنهما ابنتا القاضى . الزمى الصمت .

(تخرج كلابيلا فى عجلة . تتجه أنجوستياس صوب الباب الذى إلى اليمين وتنادى)

ماريانتيا ، اخرجى ، ثمة من جاء ليراك .

المشهد الثانى

(تدخل ابنتا قاضى تشانثييريا* ضاحكتين ، ترتديان ثيابا على موضة تلك الحقبة ، طرحة ، وقرنفلة حمراء فى كل صدغ . لوثيا شقراء لوحتها الشمس ، وأمبارو شديدة السمرة ، لها عينان عميقتان ، وإيماءاتها سريعة) .

: (تتجه إليها لتقبلهما ، وذراعاها مفتوحتان) .

أنجوستياس جميلتا كامبيو

فى هذا المنزل !

: (تقبل دونيا أنجوستياس وتقول لكلابيلا)

أمبارو قرنفلة * !

كيف حال زوجك ، القرنفل ؟

: (ذاهبة ، فى ضيق ، كأنما تخشى مزيداً من

كلابيلا المزاح)

* محكمة تشانشيريا الملكية ، انتهى العمل فى إنشائها فى أواخر القرن السادس عشر ، فى عهد فيليبى الثانى . فى ١٨٣٤ ، فقدت اسمها ودائرتها القضائية الواسعة لتصبح محكمة إقليمية .

* معنى اسم كلابيا Clavea بالإسبانيه قرنفلة

ذابل !

لوثيا : (تنهرها) أمبارو !

(تقبل أنجوستياس)

أمبارو : (تضحك) صبراً !

لكن قرنفلاً بلا شذى

يجتث من الإصيص !

لوثيا : دونيا أنجوستياس ، ما قولك ؟

أنجوستياس : (تبتسم) خفيفة الظل دائماً !

أمبارو : فيما أختى تقرأ وتقرأ

روايات وروايات ،

أو تطرز على الخيش

وروداً وطيوراً وأحرفاً ،

أغنى أنا وأرقص « خاليو »

شريش ، بالصاجات ؛

والـ« بيتو » والـ « أوليه » والبوليرو ،

ليت لى دائماً

رغبة فى الغناء يا سيدتى .

أنجوستياس : (**تضحك**) يالك من طفلة !

(تأخذ أمبارو ثمرة سفرجل وتقضمها)

لوثيا : (**غاضبة**) الزمى الهدوء !

أمبارو : (**تتحدث ومذاق الثمرة اللاذع بين أسنانها**) ما أطيب السفرجل !

(تنتابها رعدة لشدة الحمض ، وتطرف بعينها .)

أنجوستياس : (**وبداها على وجهها**) لا أحتمل النظر !

لوثيا : (**بقليل من الحرج**) ألا ينتابك خجل ؟

أمبارو : لكن ، ألا تخرج ماريانا ؟

سأطرق بابها .

(تذهب مسرعة وتنادى .)

ماريانا ، اخرجى فى التو يا بنيتى !

لوثيا : استميحك العذر يا سيدتى !

أنجوستياس : (**فى عنوبة**) دعيها !

المشهد الثالث

(يفتح الباب ، وتظهر ماريانا ، ترتدى ثوباً ذا لون خبازى فاتح ، وشعرها مصفف بـ « بوكليهات » ومشط وتضع وردة حمراء كبيرة خلف أذنها .لاتلبس سوى خاتم من الماس فى يدها اليسرى . تبدو مهمومة ، وتخلف انطباعاً ، كلما تقدم الحوار ، بقلق بالغ ، حين تظهر ماريانا ، تهرع الفتاتان إلى لقائها .)

أمبارو : (**تقبلها**) كم تأخرت !

ماريانا : (**حانية**) طفلتاى !

لوثيا : (**تقبلها**) ماريانيتا !

أمبارو : اعطينى قبلة أخرى !

لوثيا : وأخرى لى !

ماريانا : أيتها الجميلاتان !

(**إلى دونيا أنجوستياس**)

أأحضروا خطاباً ؟

أنجوستياس : كلا ! (**تغرق فى الفكر**)

أمبارو : (**تلامسها**) أنت ، دائماً
شابة وجميلة .

ماريانا : (**تبتسم فى مرارة**) لقد تخطيت الثلاثين !

أمبارو : لكنك تبدين فى الخامسة عشرة !

(يجلسن على أريكة كبيرة ، الأختان إلى جانبى ماريانا . دونيا أنجوستياس تلتقط كتابها وترتب خزانة الأدراج .)

ماريانا : (**دائماً بنبرة حزينة**) أمبارو !
أرملة ولى ولدان !

لوثيا : كيف حالهما ؟

ماريانا : جاءا تواً من المدرسة ،
لعلهما فى الفناء .

أنجوستياس : سأذهب وأرى .
: لا أريدهما أن يبللا نفسيهما فى النافورة .
إلى اللقاء يابناتى !

لوثيا : (**رقيقة دائماً**) إلى اللقاء !

(دونيا أنجوستياس تذهب)

المشهد الرابع

مــــاريـانـا : أخوك فرنانـدو ، كيف حاله ؟

لـوثـيــــــا : قال

إنه سيأتى فى طلبنا كى يحييك .

(تضحك)

كان يجرب سترة زرقاء .

فكل مالديك يروقه .

يريدنا أن ننحو نحوك فى الملبس

أمس ...

أمــبـــارو : (التى يجب أن تتحدث دائماً ، تقاطعها)

أمس تحديداً قال لنا إن

(لوثيا تتجهم)

فى عينيك .. ماذا قال ؟

لـوثـيــــــا : (غاضبة) أتتركينى

أتحدث

(ترغب فى الحديث)

أمبـارو : (**مسرعة**) أتذكر الآن ! قال إن فى عينيك

تواتراً دائماً من الطيور .

(تأخذ رأسها من ذقنها وتنظر فى عينيها)

اختلاجة رائعة ، كاختلاجة ماء معتم ،

مباغَت أبداً تحت الريحان ،

أو رجفة قمر فوق حوض أسماك

حيث تصطنع سمكة فضية نوماً أحمر .

لوثيـا : (**تهز ماريانا**) انظرى ! هذاالأخير من اختراعها

(تضحك)

أمبـارو : لوثيا ، هذا ما قاله !

ماريانا : كم تقر عينى

ببهجتكما مثل طفلتين صغيرتين !

ذات البهجة التى لا ريب يحس بها

عباد الشمس الكبير عند الفجر

حين يرى فوق ساق الليل

عباد شمس السماء الذهبى يتفتح .

(**تمسك بيديهما**)

لـوثـيــــــا : أراك شديدة الحزن !

أمـــبـــارو : مابك ؟

(**تدخل كلابيلا**)

مــــاريـانـا : (**تنهض مسرعة**) كلابيلا !

هل جاء ؟ تكلمى !

كـــلابيـــلا : (**حزينة**) سيدتى ، لم يأت أحد !

(**تعبر خشبة المسرح وتذهب**)

لـوثـيــــــا : لو أنك تنتظرين زائراً ، سنذهب .

أمـــبـــارو : ما عليك سوى أن تقولى ذلك

لنذهب .

مــــاريـانـا : (**فى توتر**) أيتها الطفلتان ، سأضطر إلى الغضب !

أمـــبـــارو : لم تسألينى عن إقامتى فى رُندة .

مــــاريـانـا : حقاً لقد ذهبت ؛ أرجعت مسرورة ؟

أمبارو : جداً . طوال النهار رقص فى رقص .

(تتجهم فى الحال حين ترى ماريانا ، المتوترة ، تنظر إلى الأبواب وتشرد .)

لوثيا : **(متجهمة)** هيا بنا يا أمبارو .

ماريانا : **(وقد انتابها قلق لشىء يجرى خارج خشبة المسرح)**

احكى لى ! لو علمت

كم أحتاج إلى ضحكتك الطازجة .

(ماريانا لم تزل واقفة)

لوثيا : أترغبين فى أن أحضر لك رواية ؟

أمبارو : أحضرى لها

حلبة ثيران رُندة النبيلة

(يضحكن . تنهض وتتجه إلى ماريانا)

اجلسى

(ماريانا تجلس وتقبلها .)

ماريانا : **(مستسلمة)** أذهبت إلى مصارعة الثيران ؟

لوثيــــــا : ذهبت

أمــــبــــارو : إلى أعظم مصارعة

شوهدت في رُندة العريقة .

ثيران خمسة بلون السبج .

بشريط أخضر وأسود .

وأنا كنت دائماً أتذكرك ؛

أفكر : ليتها معي ،

صديقتي البائسة ،

عزيزتي ماريانيتا بينيدا !

صائحات أقبلت الصبايا

على عربات ملونة

وبمراوح مدورة

مزينة بالترتر .

وشباب رُندة

على خيل مطهمة

وقبعاتهم الرمادية العريضة

حتى الحاجبين .

والحلبة المحتشدة

(قبعات وأمشاط عالية)

تدور كفلك

من ضحكات بيضاء وسوداء .

وحين اجتاز كاييتانو العظيم

أرض الحلبة التى بلون التبن

بزيه الذى له لون التفاح

المطرز بالفضة والحرير ،

بارزاً رشيق القد ،

وسط فريق المصارعة ،

أمام الثيران الكمت

التى تربيها إسبانيا على أرضها ،

لاح المساء كأنه

أمضى أشد بسمرة .

لو أنهم . أوا

بأية ملاحة راح يحرك ساقيه !

ما كان أروع حذقه

بالعباءة والسيف *

فلا يفضله حتى « بدرو روميرو »

لو صارع النجوم !

خمسة ثيران قتل ؛ خمسة

بشريط أخضر وأسود .

فى طرف سيفه

خمس زهور تفتحت ،

وفى كل لحظة راح يداعب

خطوم الوحوش ،

مثل فراشة ذهبية عظيمة

حمراء الأجنحة .

* يقصد هنا إلى مرحلتين من مراحل المصارعة الثلاث : الأولى يستقبل فيها المصارع الأول (المايسترو ، المتادور) يستقبل الثور فى لحظة خروجه إلى الحلبة ويصارعه بالعباءة التى لها لون مزدوج (أصفر من ناحية وبنفسجى من الأخرى) : ثم دور غارسى الأعلام ويقوم به فى الغالب مساعدو المصارع الأول : ثم المرحلة الأخيرة والأهم ويقوم فيها المايسترو بمصارعة الثور حتى لحظة النهاية ، مستخدماً سيفاً قصيراً وخرقة حمراء بلون الدم .

كانت الحلبة شأن المساء

تهتز فى قوة وعنف ،

ووسط رائحة الدم

يفوح أريج الجبل .

وأنا كنت دائماً أتذكرك ؛

أفكر : ليتها معى ،

صديقتى البائسة ،

عزيزتى ماريانيتا بينيدا !

ماريانا : (**منفعلة ، تنهض**) بسأحبك دائماً

على نحو ما تحبيننى !

لوثيا : (**تنهض**) سنذهب ؛ لو أنك واصلت

الإنصات إلى هذه المصارِعة

فلدينا مصارَعة لوقت طويل .

أمبارو : أخبرينى : أأنت الآن أكثر بهجة ؟

لأن هنا العنق ، آهٍ ، أى عنق ! ، (**تقبل عنقها**)

لم يخلق للألم .

لـوثـيـــــــا : (**فى الشرفة**) هنالك سحب عند بارابانداا

ستمطر ، على أنى أرجو الله ألا تمطر .

أمـــبـــارو : هذا الشتاء سيكثر المطر !

لن أتألق !

لـوثـيـــــا : غنجة !

أمـــبـــارو : إلى اللقاء يا ماريانا !

مــــاريـانـا : إلى اللقاء ياصغيرتى ! (**يتبادلن القبل**)

أمـــبـــارو : ابتهجى !

مــــاريـانـا : الوقت متأخر قليلاً .

أتريدان أن ترافقكما كلابيلا ؟

أمـــبـــارو : شكراً ! سنعود فى القريب .

لـوثـيـــــا : لا تهبطى ، كلا !

مــــاريـانـا : إلى الملتقى ! (تخرجان)

المشهد الخامس

(تعبر ماريانا خشبة المسرح مسرعة ، وتنظر الوقت فى واحدة من الساعات الضخمة المذهبة ، حيث يحلم كل الشعر الرفيع للساعة والقرن . تطل من وراء الزجاج وتشاهد ضوء المساء الأخير) .

ماريانا : لو كان المساء كله

طائراً عظيماً ،

لرميته بسهام قاسية

وطويت جناحيه !

ساعد مدورة ومعتمة

تثقل أجفانى .

ألم نجم قديم

يسكن حنجرتى .

قد آن للأنجم

أن تطل على شرفتى

وتغز الخطى وئيدة

فى الشارع المقفر .

بأى مشقة بالغة

يهجر الضوء غرناطة !

مشتبكاً بأشجار السرو

أو متوارياً تحت الماء .

وهذا الليل الذى لا يأتى ! (**فى كرب**)

أيها الليل الرحيب والمنشود ،

الذى تجرحنى الآن من بعيد

بسيوف ممتدة !

المشهد السادس

: (**عند الباب**) مساء الخير .

فرناندو : (**فزعة**) ماذا ؟ (**تثوب إلى رشدها**)

ماريانا فرناندو !

: أأفزعتك ؟

فرناندو : لم أكن أنتظرك (**تبتسم**)

ماريانا : وصوتك باغتنى .

فرناندو : أرحلت أختاى ؟

ماريانا : فى التو . نسيتا

أنك ستأتى فى طلبهما

(فرناندو يلبس ثياباً أنيقة على نسق ذلك الوقت . ينظر ويتحدث فى تأجج . يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً)

فرناندو : أأقاطعك ؟

ماريانا : اجلس **(يجلسان)**

فرناندو : (**فى غنائية**) كم يروقنى منزلك ! ...

وأريج السفرجل هذا . (**يأخذ شهيقاً**)

ويالروعة واجهته ،

المليئة برسوم

مراكب وأكاليل ! ...

ماريانا : (**تقاطعه**) أثمة الكثير من الناس فى الشوارع ؟

فرناندو : (**يبتسم**) لماذا تسألين ؟

ماريانا : (**فى حرج**) لا لشىء .

فـــرنـانـدو : أجل ثمة الكثير منهم .

مـــاريـانـا : (**نافذة الصبر**) تقول ؟ ...

فـــرنـانـدو : مروراً بباب الرملة

مـــاريـانـا رأيت جماعتين أو ثلاثاً

فـــرنـانـدو من الناس المتلفين فى عباءاتهم

يحتملون الريح

فى ثبات ويتحدثون

عن الحادثة .

مـــاريـانـا : (**متلهفة**) أية حادثة ؟

فـــرنـانـدو : أتخمنين بم تتعلق ؟

مـــاريـانـا : بأمور ماسونية ؟ ....

فـــرنـانـدو : زعيم يدعى ..... ؛

مـــاريـانـا : (**فيما يشبه القلق**) لا أتذكر ... ، ليبرالى ،

سجين خطر ،

فر من سجن المحكمة .

فرناندو : **(بعد أن لاحظ ماريانا)** ما بك ؟

ماريانا : أدعو الله من أجله . أقيل

أنهم يبحثون عنه ؟

فرناندو : قبل أن آتى إلى هنا ،

حشد من القوات

كان متوجهاً

إلى نهر شنيل وجسوره

علهم واجدوه ،

ومن اليسير أن يلقوا القبض عليه

فى طريق البوشرات

ما أتعسه من أمر !

ماريانا : **(فى غم)** يا ألهى !

فرناندو : فر السجين كشبح ،

لكن بدروسا

سيحضره من عنقه .

فبدروسا يعرف

أين يكون العرق متسعاً .

قيل لى إنك تعرفت إليه .

(يتلاشى الضوء تدريجياً من المشهد)

مــــاريـانـا : منذ أن جاء غرناطة .

فــــرنـانـدو : **(مبتسماً)** صديق شجاع ، ياماريانيتا !

مــــاريـانـا : تعرفت إليه لسوء طالعى .

هو رقيق معى ،

وحتى إنه يحضر إلى منزلى ،

ولا حيلة لى

من يمنعه من الدخول ؟

فــــرنـانـدو : ما أعظمه من عمدة للجريمة !

مــــاريـانـا : لا أحتمل النظر إلى وجهه !

فــــرنـانـدو : أهو يخيفك إلى هذا الحد ؟ **(يبتسم)**

مــــاريـانـا : كثيراً !

مساء أمس كنت أهبط

بشارع السقاطين ، كنت عائدة

من كنيسة القديسة آنا ،

في دعة ؛

وبغتة رأيت بدروسا .

كان يقترب ، يتبعه قاضيان ،

وسط جمع من الغجريات .

بأى سمت ، وفى أى صمت !

وهو لاحظ أننى كنت أرتجف !

(المسرح فى خفوت ضوئى عذب)

فـــرنـانـدو : كم كان يعى الملك ما يفعله

حين أرسله إلى هنا ، إلى غرناطة !

أحضر معه فى حقيبته

مائة كفن

صنعت ، كما يشيعون ،

بأيدٍ مقدسة .

مـــــاريـانـا : (**تنهض**) هبط الليل . كلابيلا ! الأنوار !

فــــرنـانـدو : والان الأنهار فى إسبانيا ،

بدل أن تكون أنهاراً ، هى

أصفاد طويلة من ماء .

مـــــاريـانـا : لهذا ينبغى أن نظل

مرفوعى الهامة .

كـــلابيــــلا : (**تدخل ومعها شمعدانان**) سيدتى ، الأنوار !

مـــــاريـانـا : (**شديدة الشحوب ومترقبة**) دعيها !

(**طرق شديد على الباب**)

كـــلابيــــلا : ثمة من يطرق الباب ! (**تضع الشمعدان**)

فــــرنـانـدو : (**وهو يرى ماريانا مضطربة**) ماريانا !

لماذا ترتجفين على هذا النحو ؟

مـــــاريـانـا : (**إلــى كــلابيــلا ، تصــرخ بصــوت منـــخـفـض**)

افتحى بسرعة بالله عليك ؛ هيا !

(تخرج كلابلا عدواً ، وتبقى ماريانا فى حالة ترقب قرب الباب ، وفرناندو واقفاً) .

المشهد السابع

فرناندو : شد ما يؤلمنى أن أزعجك ...

ماريانا ، ماذا ألم بك ؟

ماريانا : **(فى قلق ، على نحو بالغ الرقة)**

عند الانتظار

تطول الثوانى على نحو

لا يحتمل .

فرناندو : **(فى قلق)** أأهبط أنا ؟

ماريانا : جواد

يبتعد فى الشارع . أتسمعه ؟

فرناندو : صوب الغوطة يركض .

(صمت)

ماريانا : لقد أغلقت

الخصاص كلابيلا .

فــــرنـانـدو : من يكون ؟

: **(مضطربة ، وتكبت كرياً دفيناً)**

مـــــاريـانـا لا أعرف ! (على حدة)

ولا مجرد تخيل الأمر !

كـــلاليــلا : **(تدخل)** خطاب يا سيدتى . **(ماريانا تأخذ الخطاب بنهم)**

فــــرنـانـدو : (**على حدة**) ما الخطب ؟

كـــلابيـــلا : سلمه لى فارس . كان ملثماً

حتى عينيه . انتابنى رعب .

أطلق العنان ورحل طائراً

إلى عتمة الباحة .

فــــرنـانـدو : نسمعه من هنا

مـــــاريـانـا : أحادثته ؟

كـــلابيـــلا : لا قلت له شيئاً ولا قال لى .

فالخير فى هذه الأمور التزام الصمت .

(فرناندو يمسح على قبعته بكمه ، ويظهر القلق على بسمته)

ماريانا : **(ومعها الخطاب)** لا أود أن أفضه ! آه ، من بوسعه

فى هذا الواقع أن يحلم !

إلهى ، لا تحرمنى خير ما أحب !

(تشق الخطاب وتقرأ)

فرناندو : ياالحيرتى . فذلك شديد الغرابة !

أنت تدركين ما بها . ما خطبها ؟

كلابيلا : قلت لك لا أدرى .

فرناندو : **(فى رصانة)** لكن ...

كلابيلا : **(تكمل جملتها)** يا لسيدتى ماريانا البائسة !

ماريانا : **(مضطربة)** كلابيلا ، قربى الشمعدان !

(كلابيلا تقربه منها مسرعة ، وفرناندو يضع عباءته فوق كتفيه فى بطء)

كــــلابيــــلا : (**إلى ماريانا**) حفظنا الله سيدتى المحبوبة !

فـــــرنـانـدو : (**متحرجاً وقلقاً**) إئذنى لى ...

مـــــاريـانـا : (**تغالب كربها**) أأنت ذاهب ؟

فـــــرنـانـدو : إنى راحل ،

أذهب إلى مقهى « النجمة » .

مـــــاريـانـا : (**رقيقة ومستعطفة**) أستميحك العذر ،

فهذا القلق ...

فـــــرنـانـدو : (**مترفعاً**) أتحتاجين شيئاً ؟

مـــــاريـانـا : (**تكتب تأثرها**) أشكرك ... أمور عائلية جداً ،

ولابد أن أحلها بنفسى .

فـــــرنـانـدو : كم وددت أن أراك سعيدة . سأقول

لأختى أن تأتيا لوهلة ،

ليت بوسعى إسداءك عونى .

إلى اللقاء ، استريحى (**يشد على يدها**)

مـــــاريـانـا : إلى اللقاء

فرناندو : (**إلى كلابيلا**) مساء الخير .

كلابيلا : تفضل ، سأصحبك إلى الخارج (**يذهبان**)

ماريانا : (**لحظة خروج فرناندو ، تطلق العنان لأحاسيسها**)

بدرو ، أيها الحبيب ! لكن من له أن يذهب ؟

غدت تحوط دارى الأيام المرة .

وهذا القلب ، إلى أين يحملنى ،

فحتى ولداى أنساهما ؟

لابد من الإسراع ولا أحد لدى !

أنا نفسى أعجب لشدة حبى له !

ماذا لو قلت له ... والتمس لى العذر ؟

إلهى ، بحق جرح ضلوعك ! (**تبكى**)

بحق قرنفل دمك الذكى ،

عكر الليل على الجنود . (**مهتاجة وهى تنظر الساعة**)

لابد ! على أن أقدم على أى شىء! (**تخرج مسرعة صوب الباب**)

فرناندو !

كـــلابيــــلا : (**تدخل**) فى الشارع يا سيدتى !

مــــاريـانـا : (**تطل فى عجلة من النافذة**) فرناندو

كـــلابيــــلا : (**تشبك يديها**) آه ، دونيا ماريانا ، ما أتعسك !

منذ وضعت يديك الجميلتين

فى راية الليبراليين تلك ،

وألوان زهرة الرمان

اختفت من محياك .

مــــاريـانـا : (**تغالب انفعالها**) افتحى ،

ولا تذكرينى بما أطرزه .

كـــلابيــــلا : (**تخرج**) الله أعلم ؛ فالزمن يتبدل بمرور الزمن .

الله أعلم ؛ الصبر ! (**تخرج**)

مــــاريـانـا : ومع ذلك

ينبغى أن أكون شديدة الهدوء ، شديدة الهدوء .

وإن شعرت بأننى أرفل فى الارتعاد والبكاء .

المشهد الثامن

(يظهر فرناندو بالباب ، يرتدى قفازًا وممسكاً بيديه القبعة العالية ذات الشرائط . تتبعه كلابيلا) .

فــرنـانـدو : **(يدخل ، منفعلاً)** ماذا تريدين ؟

مــاريـانـا : **(فى ثبات)** التحدث إليك . **(إلى كلابيلا)** يمكنك أن تذهبى .

كـلابيـلا : **(تذهب فى استسلام)** طابت ليلتكما !

(تخرج متحيرة وتنظر فى حنان وأسى إلى سيدتها . صمت) .

فــرنـانـدو : أخبرينى ، هيا .

مــاريـانـا : أأنت صديقى ؟

فــرنـانـدو : لم تسألين يا ماريانا ؟

(ماريانا تجلس على كرسى ، تظهر أحد جانبى وجهها فقط للجمهور ؛ ويجلس فرناندو إلى جانبها

ووجهه للجمهور تقريباً بحيث يؤلفان صورة تقليدية في تلك الحقبة .)

تعلمين أنى كنت كذلك دائماً !

ماريانا : من القلب ؟

فرناندو : أقول الصدق !

ماريانا : ليته كان كذلك !

فرناندو : تتحدثين إلى فارس . **(يرفع يده إلى صدارته البيضاء)**

ماريانا : (**موقنة**) أعلم ذلك .

فرناندو : ماذا تطلبين منى ؟

ماريانا : لعلى أفرط فى طلبى ،

لذا لا أجرؤ .

فرناندو : لا تُحزنى هذا القلب الجديد

فأنا أخدمك مسروراً .

ماريانا : (**ترتعد**) فرناندو ، وإن كان ... ؟

فرناندو : (**فى لهفة**) ماذا ؟

ماريانا : أمراً خطيراً ؟

فرناندو : (فى عزم) سأفعل .

بكل إخلاصى .

وهذا ، فى رأيى ...

: لا يجب أن أطلب منك شيئاً !

ماريانا فكما يقولون فى غرناطة ،

أنا امرأة مجنونة !

فرناندو : (فى حنان) ماريانيتا !

ماريانا : لا أستطيع !

فرناندو : لم دعوتنى ؟ أخبرينى !

ماريانا : (فى اهتياج) لأننى جد خائفة

من أن أموت وحيدة هنا .

فرناندو : تموتين ؟

ماريانا : أحتاج ،

كى أواصل التنفس ،

أن تساعدنى ، أيها الشاب .

فرناندو : عيناى تنتظرانك ،

لا ينبغى أن تترددى .

مـــاريـانـا : لكن حياتى فى الخارج ،

فى الهواء فى البحر ،

ضد إرادتى أنا .

فــرنـانـدو : كم سيسعد دمى

لو وسعه أن يخفف ألمك !

(ترفع فى رباطة جـأش يديهـا إلـى صـدرها لتـخرج الخطاب ، وفرناندو فى حالة ترقب وانفعال) .

مـــاريـانـا : أنا واثقة من قلبك ! **(تخرج الخطاب . تتردد)**

ما أشد صمت غرناطة !

ثمة نظرة ثابتة تترصدنى ،

وراء الشرفة .

فــرنـانـدو : **(فى حيرة)** ماذا تقولين ؟

مـــاريـانـا : ترمقنى ... **(تنهض)**

عنقى ، الجميل ،

وكل جلدى مشدودان .

أتتمكن منى يا بدروسا ؟ (**فى حزم**)

خذ هذا الخطاب يا فرناندو .

اقرأ فى أناة وفهم .

أنقذنى ! فأنا غير واثقة

بقدرتى على الحياة .

(فرناندو يأخذ الخطاب ويفتحه . فى هذه اللحظة تدق الساعة الثامنة ببطء أضواء الشموع بلون الياقوت الأصفر والجمشت تهز الحجرة على نحو غنائى .

ماريانا تنزع خشبة المسرح وتنظر فى قلق إلى الشاب الذى يقرأ بداية الخطاب وتظهر عليه إيماءة يأس أنيقة ومكبوتة) .

فرناندو : **(يقرأ الخطاب مبهوتاً وينظر إلى ماريانا مذعوراً وحزيناً)**

« معبودتى ماريانا » .

ماريانا : لا تقطع القراءة .

فالقلب محتاج إلى ما يهفو إليه

في الكتابة .

فــــرنـانـدو : **(يقرأ يائساً لكن بلا افتعال)**

« مـعـبـودتى مـا ريانا : أشكر لك ثوب الراهب الكابوتشينى الذى أوصلته إلى ببراعة ، لقد فررت من برج سانتنا كتالينا وسط رجال دين آخرين كانوا يخرجون بعد زيارة سجين محكوم عليه بالإعدام . الليلة ، أنا فى حاجة ماسة إلى الرحيل إلى كاديار ، فى زى مـهـرب ، حـيث آمل أن تصلنى أنبـاء من الأصدقاء . أحتاج قبل التاسعة إلى جواز المرور الذى فى حوزتك وإلى شـخص يكون محل ثقتك ينتظرنى ومعه جواد ، فيما وراء سد نهر شنيل ، كى يدخلنى الجبل ، أعلى النهر . بدروسا سيضيق الحصار كعهده ، فإن لم أرحل فى نفس هذه الليلة فأنا هالك لا محالة . وداعاً ياماريانا ، تقبلى عناق وروح من يحبك .

« بدرو دى سوترمايور »

فــــرنـانـدو : **(فى وله شديد)** ماريانا !

ماريانا : **(فى سرعة ، ترفع يدها إلى عينيها)**

أتخيل ما تفكر فيه !

لكن ، صه يا فرناندو .

فرناندو : كيف سددت الطريق .

أمام ما كنت أحلم به ! **(ماريانا تحتج بإيماءة)** .

لا ذنب لك ، كلا ؛

والآن علىّ أن أمد يد العون

لرجل أخذت أمقته ؛

ومن يحبك هو أنا !!

من أحبك طفلاً ،

مفعماً بعشق مر ،

قبل أن يسلب دون بدرو

قلبك بزمن طويل .

لكن كيف لى أن أتركك

فى هذا الكرب البائس الآن !

والحيد بشعورى

ما أشقه على نفسى !

مـــاريـانـا : (**فى عزة**) إذن ، سأذهب وحدى ! (**ثم فى مهانة**)

يا إلهى ،

لابد أن يكون فى التو !

فـــرنـانـدو : سأذهب أنا بحثاً عن معشوقك ،

عند ضفة النهر .

مـــاريـانـا : (**فى اعتزاز ، تصحح سخرية وحزن فرناندو بقوله :**

معشوق)

أن أقول لك كيف أحبه

لا يخجلنى .

فحبه يخزنى فى داخلى

ويشرق كاملاً .

هو يحب الحرية ،

وأنا أحبها أشد منه .

ما يقوله هى حقيقتى المرة ،

التى لها عندى مذاق العسل .

لا يعنينى أن يعتكر

النهار والليل ،

فبالضوء المنبجس عنهما

سيحيا روحه .

لهذا الحب الحق

الذى يعض نفسى البسيطة ،

تعترينى صفرة

كزهرة الزعتر .

فــــرنـانـدو : (**بحدة**) ماريانا ، إنى أدع شكواك

تحلق . لكن ، ألم تسمعى

أن قلبى مكلوم

وتؤلمنى الجراح ؛

: (**فى لهجة شعبية**)

حسنٌ ، لو أن لصدرى

شرفات من الزجاج ،

لأطللت ورأيته

يبكى قطرات من دم .

فـــرنـانـدو : كفى ! اعطينى الوثيـقـة ! (**مـاريانا تسـرع نـحـو خزانة أدراج**)

والجواد ؟

مــــاريـانـا : (تخرج الأوراق) فى الحديقة .

لو أنك ذاهب ،فى النهاية ،

ينبغى ألا نضيع لحظة .

فـــرنـانـدو : (**شـاحـبـاً ومـتـوتراً**) فى التـو (**مـاريانا تسلمـه الأوراق**)

وهنا يوجد .... ؟

مــــاريـانـا : (**مكروبة**) كل شىء .

فـــرنـانـدو : (**يخبىء الوثيقة فى سترته**) حسن !

مــــاريـانـا : استميحك العذر يا صديقى !

ليكن الله معك

فـــرنـانـدو : (**طبيعياً وكريماً ولطيفاً ، يرتدى عباءته على مهل**)

أرجو ذلك .

فالليلة معتمة .

لا قمر هنالك ، وإن وجد

فإن أشجار الحور بالضفة

تلقى بظل كثيف .

وداعاً . وجففى هذا الدمع .

لكن ، اعلمى

أن لا أحد سيحبك مثلما

أحبك أنا .

وأنى أقوم بهذه المهمة

كى لا أراك تتعذبين ،

مخالفاً إحساس

قلبى العميق .

ماريانا : تجنب الحرس والجنود ....

فرناندو : **(ينظر إليها بحنان)**

فى ذلك المكان ليس هنالك أحد .

فى وسعى السير بلا خوف . **(فى سخرية مريرة)**

ماذا تريدين أيضاً ؟

مــــاريـانـا : **(منزعجة ، تتمتم)**

كن حريصاً

فــــرنـانـدو : **(بالباب ، يضع قبعته)**

إن نفسى أسيرة ؛

اطرحى عنك أى خوف .

فأنا أسير العشق

وسأظل مادمت قيد الحياة .

مــــاريـانـا : وداعاً **(تأخذ الشمعدان)**

فــــرنـانـدو : لاتخرجى يا ماريانا .

الوقت يمر ، وأود

أن أعبر الجسر أولاً

قبل دون بدرو . طابت ليلتك

(يخرجان)

المشهد التاسع

(المسرح يظل خالياً للحظة . ما إن تخرج ماريانا مع فرناندو من أحد الأبواب ، تظهر دونيا أنجوستياس من الباب المواجه ومعها شمعدان . عبق السفرجل الرقيق والخريفى يغزو الجو) .

أنجوستياس : طفلتى ، أين أنت ، طفلتى .

آه . يا إلهى ، ما هذا ؟

أين كنت ؟

ماريانا : **(تدخل حاملة شمعدان)** كنت أرافق فرناندو إلى الخارج .

أنجوستياس : أية لعبة

اخترعها الطفلان !

ويخيهما .

ماريانا : **(تترك الشمعدان)** ماذا فعلا ؟

أنجوستياس : ماريانا ، الراية

التى تطرزينها سراً ....

مـــاريـانـا : (**تقاطعها فى درامية**) ماذا تقولين ؟

أنجوستـيـاس : ... وجداها

فى الصوان القديم

واستلقيا عليها

يصطنعان أنهما قتيلان ،

تيلين ، تلان ؛ جدتى

قولى لقسنا

أن يحضر رايات صغيرة ،

وزهور الزعتر ؛

وأن يحضروا حمراء

قرنفلات البستان .

ها قد حضر الأساقفة ،

كانا يقولان « **تذكروا الموت** »* ،

ثم يغمضان أعينهما ،

* باللاتينية فى الأصل .

بسمت شديد الجدية .

قد تكون أموراً صبيانية ؛

حسن . لكننى يداخلنى

شعور مقبض ،

وتصيبنى بالهلع

الراية تلك .

ماريانا : **(مذعورة)** لكن كيف رأياها ؟

كانت مخبأة بعناية !

أنجوستياس : ماريانا ، هذا زمن نحس

على هذه الدار العريقة ،

التى أراها تنهار ،

بلا رجل ، بلا أحد ،

وسط الصمت !

ثم ، أنت ...

ماريانا : **(فى حيرة ، وعلى نحو مأسوى)**

بحق الله !

أنجوستياس : ماريانا ، وأنت ماذا فعلت ؟

حاصرت هذه الحوائط

بحراس خفيين .

ماريانا : قلبى مجنون

ولا أدرى ماذا أريد .

أنجوستياس : إنسيه يا ماريانا !

ماريانا : (**فى تأجج**) أنساه ، لا أستطيع !

(**تسمع ضحكات أطفال**)

أنجوستياس : (**تومىء لماريانا كى تصمت**) الطفلان .

ماريانا : هيا ، سريعاً

كيف وصلا إلى هذا ؟

أنجوستياس : هكذا تجرى الأمور .

ماريانا ، فكرى فيهما !

(**تأخذ شمعدان**)

مـــاريـانـا : أجل ، أجل ؛ الحق معك .
الحق معك ، لا أفكر !

(تخرجان)

اللوحة الثانية

القاعة الرئيسية فى منزل ماريانا . درجات لونية رمادية وبيضاء وعاجية ، كصورة قديمة . منصة ، بيضاء . فى الخلفية ، باب له ستارة رمادية ، وبابان جانبيان . ثمة « كونسول » عليها صندوق زجاجى وأغصان كبيرة من الزهور الحريرية البنفسجية والخضراء . فى وسط الحجرة ، بيانو قديم وشمعدانات زجاجية . الوقت ليل .

المشهد الأول

(كلابيلا وطفلا ماريانا . يرتديان ملابس على وتيرة تلك الحقبة اللذيذة . كلابيلا جالسة ، وإلى جانبها الطفلان على كرسيين بلا مسند . المكان نظيف ومتواضع وإن احتفظ ببعض الأثاث الفخيم من إرث ماريانا)

كلابيلا : لن أواصل الحكى . (**تنهض**)

الطفل : (**يشدها من ردائها**) احكى لنا شيئاً آخر .

كلابيلا : ستمزق ثوبى !

الطفلة : (**تشدها من ثوبها**) إنه لثوب ردىء جداً .

كلابيلا : (**تلومها**) اشترته أمك .

الطفل : (يضحك ويشدها من ثوبها كى تجلس) كلابيلا !

كلابيلا : (تجلس رغماً عنها وتضحك أيضاً) أيها الطفلان !

الطفلة : حكاية الأمير الغجرى تلك .

كلابيلا : الغجر لم يكونوا قط أمراء .

الطفلة : وله ؟

الطفل : لا أريدهم إلى جانبى ،

فأمهاتهم هن الساحرات الشريرات .

الطفلة : (بحدة) أفّاك !

كلابيلا : (تعنفها) لكن ، أيتها الطفلة !

الطفلة : أمس رأيت اثنين منهم

يصليان ليسوع « بويرتا ريال » .

ومعها مقص بهذا الحجم ....

وأربعة حمير صغيرة كثة الشعر تنظر ..

وبأية عيون ... وتحرك أذنابها

مرة أخرى . من لى بأحدها !

الطفل : (**فى حكمة**) ربما سرقوها .

كلابيلا : لا هذا ولا ذاك . من يعلم ؟ (**يخرج كل طفل لسانه للآخر ساخراً**)

اصمتا !

الطفل : وقصة المُطرِّز ؟

الطفلة : آه ، دوق لا شانة ! ماذا تقول الحكاية ؟

الطفل : حقل الزيتون ، زيتونة .. ، تطرز . (**كأنما يتذكر**)

كلابيلا : سأقصها عليكما ؛ لكن حين تنتهى ، تنامان فى الحال .

الطفل : حسن .

الطفلة : فهمنا !

كلابيلا : (**ترسم فى أناة علامة الصليب ويحاكيها الطفلان ناظرين إليها**)

تبارك إلى الأبد

الثالوث المقدس ،

ليحفظ الإنسان فى الجبل

والبحار فى البحر ،

على الحافة الخضراء ، الخضراء

لحقل الزيتون ، هناك

الـطـفـلـة : (تسد بيدها فم كلابيلا وتكمل هى)

طفلة تطرز .

أماه ! ماذا تطرز ؟

كـــلابيـــلا : (السعيدة لأن الطفلة تعرف الحكاية)

الإبر من الفضة ،

والنول من الزجاج ،

كانت تطرز راية ،

تغنى وتغنى ،

لكن من شجر الزيتون ، الزيتون ،

أماه ، من يصدق !

الطفل : (مكملاً) جاء أندلسى

شاب ووسيم .

(تظهر من باب الخلفية ماريانا ، ترتدى ثوباً أصفر فاتحاً : صفرة كتاب قديم ، وتسمع الأغنية الشعبية تمثل بايماءات ما يستدعى فيها فكرة الراية والموت) .

كلابيلا : أيتها الصبية ، المطّرِزة ،

حياتى لا تطرزى !

فلوق لاشانة

ينام وينام .

والصبية تجيبه :

« لا تقول الحق :

فلوق لا شانة أمرنى

أن أطرز هذه الراية الحمراء

لأنه ذاهب إلى الحرب » .

الطفل : بشوارع قرطبة
يحملونه إلى مثواه
مرتدياً مسوح راهب كاملة
فى تابوت من المرجان .
الطفلة : (كأنها تحلم)
الحبق والقرنفل
فوق النعش موضوعان ،
وخضير قديم
يغنى ... « بيو .. با »
كلابيلا : آه يا دوق لاشانة ،
لن أراك بعد الآن !
والراية التى أطرزها
ماعاد لها نفع .
فى حقل الزيتون سألبث
لأرى كيف يحرك الهواء
لدى عبوره الأوراق .
الطفل : وداعاً ، أيتها الصبية الجميلة ،
الهيفاء ، الرشيقة ،
أنا ذاهب إلى أشبيلية

فأنا هناك قبطان .

كـــلابيـــلا : على الحافة الخضراء ، الخضراء ،

لحقل الزيتون ، هناك

صبية سمراء

تبكى وتنتحب .

(يومىء الطفلان إيماءة رضا ، بعد أن تابعا الأغنية الشعبية باهتمام شديد)

المشهد الثانى

(نفس الشخوص وماريانا)

مـــاريـانـا : (**تتقدم**) حانت ساعة النوم .

كـــلابيـــلا : (**تقف وتُنهِض الطفلين**) أسمعتما ؟

الـطـفـلـة : (**تقبل ماريانا**) ماما ، اصعدى معنا إلى الفراش .

مـــاريـانـا : لا أستطيع يا بنيتى ؛

يجب أن أخيط لك عباءة .

الـطـفـل : ولى ؟

كـــلابيـــلا : (**تضحك**) أجل ، بالطبع !

مـــاريـانـا : ولك قبعة

بشريط أخضر وشريطين فضيين . (**تقبله**)

كلابيلا : إلى النوم يا طفلّى !

الطفل : (**يلتفت**) أريدها كالرجال :

عالية وكبيرة ، أتعلمين ؟

ماريانا : لك ما تريد ، يا حبيبى !

الطفلة : ثم تعالى فيما بعد ؛

فأود أن أحس بك ، فهذه الليلة

لا يرى شىء والريح عاتية .

ماريانا : (**بصوت خفيض إلى كلابيلا**) حالما تنتهين تهبطين

إلى الباب .

كلابيلا : فى التو ، فالطفلان يغالبهما النعاس .

ماريانا : صلوا بلا ضحك !

كلابيلا : أجل يا سيدتى !

ماريانا : (**بالباب**) صلاة للعذراء

وصلاتين ليسوع الألم الأعظم المقدس ،

ليحفظانا .

الطفلة : سنصلى

صلاة القديس يوحنا

من أجل السائرين والبحارة (**يدخلان . صمت**)

المشهد الثالث

مـــــاريـانـا : (بالباب)

ارقدا فى هدوء ، أى طفلىَّ ،

فيما أنا ، فى ضياع وجنون ،

أحس باحتراق وردة صدرى الدامية هذه

فى لهيبها المتأجج .

واحلما بالعيد وغوطة قرطاجنة

المشرقة والندية ،

وبالطائر الملون المتأرجح

على أفنان شجرة الليمون المرة .

وأنا أحلق فى حلمى

كما يمضى ، ولا يدرى إلى أين يمضى ،

رهيف الطلع مع الريح .

المشهد الرابع

أنجوستياس (تظهر دونيا أنجوسيتاس بالباب . وعلى حدة)

: بيت تليد ونبيل ، أى جنون ! (إلى ماريانا)

لديك زائر .

مـــــاريـانـا : (فى قلق) من ؟ (تهرع إلى الباب)

أنجوستياس : اهدئى يابنيتى ! ليس زوجك !

ماريانا : (**توافقها على نحو قاطع**) الحق معك دائماً .

لكن أى حيلة لى !

المشهد الخامس

(ماريانا تهرع إلى الباب فى لحظة دخول دون بدرو منه . يبلغ دون بدرو من العمر ستة وثلاثين عاماً . هو رجل رقيق وهادىء وقوى البنية . يلبس فى اعتدال ويتحدث بطريقة عذبة . ماريانا تمد له ذراعيها وتشد على يده . دونيا أنجوستياس تتخذ سمتاً حزيناً ومتحفظاً . صمت) .

بدرو : (**فى تأجج**) شكراً يا ماريانا ، شكراً .

ماريانا : (**دون أن تنبس تقريباً**) قمت بواجبى .

(أثناء هذا المشهد ستظهر ماريانا أمارات عاطفة جياشة ودفينة)

بدرو : (**يتحدث إلى دونيا أنجوستياس**) شكراً جزيلاً يا سيدتى .

أنجوستياس : (**حزينة**) وله ؟ مساء الخير .

(**إلى ماريانا**) أنا ذاهبة إلى الطفلين .

(**على حدة**) آه ، مسكينة ماريانيتا !

(**تخرج . وحين تخرج أنجوستياس ، بدرو ،** في تأجج ،
يحوط ماريانا من خصرها)

بــــــدرو : (**في جيشان عاطفي**)
من يسعه أن يرد لك ما فعلتِه من أجلي !
كل دمي جديد لأنك وهبتنيه
وخاطرتِ بقلبك الرقيق .
آهٍ ، كم كنت خائفاً عليه يا ماريانا !

مــــاريـانـا : (**بالقرب منه وقد هجرتها رصانتها**)
فيم يفيد دمي ، بدرو ، لو أنك مت ؟
الطائر بلا هواء ، أيطير ؟ إذن .. (**بصوت خفيض**)
لن أستطيع أبداً أن أخبركم كم أحبك ؛
فإلى جانبك أنسى كل الكلمات .

بــــــدرو : (**بصوت عذب**)
كم تواجهين من خطر بلا أقل خَوَر !
ما أشد وحدتك وحولك الخبثاء !
كيف لي أخلصك ممن يتربصون بك
بحزني وحياتي يا ماريانا

مــــاريـانـا : (**تميل برأسها على كتفه وكأنها تحلم**)
هكذا ! دع أنفاسك على جبهتي .

اطرح عنى هذا الكرب الذى ينتابنى وهذا المذاق المر ؛
كرب السير على غير هدى ،
ومذاق الحب هذا الذى يحرق فمى .

(صمت . تنفصل عن السيد فى سرعة وتمسك بمرفقيه)

بدرو ! ألا يتعقبونك ؟ أرأوك تدخل ؟

بدرو : لم يرنى أحد ! **(يجلس)**
تقطنين شارعاً وادعاً ، والليل
يلوح شيطانياً .

ماريانا : ما أشد خوفى .

بدرو : **(يأخذ بيدها)** تعالى !

ماريانا : **(تجلس)** ما أشد خوفى من أن يفطنوا إلى الأمر ،
فتقتلك الغوغاء الملكية .

بدرو : **(بحب)** ماريانا ، لا تراعى ! امرأتى ، حياتى !
فى أشد سرية نتآمر . لا تراعى !
والراية التى تطرزينها ستخفق فى الطرق
وسط أفئدة الشعب وصيحاته .
من أجلك ستطأ الحرية التى ينشدها الجميع
أرضاً راسخة بقدمين عريضتين فضيتين .

لكن لو أن ذلك لم يحدث ؛ لو أن بدروسا ..

مـــــاريـانـا : (**فى ذعر**) لا تكمل !

بـــــــدرو : ... باغت مجموعتنا وكتب علينا الموت ..

مـــــاريـانـا : صه !

بـــــــدرو : ماريانا ، أى شأن للإنسان بلا حرية ؛

بلا ذلك النور المتناغم والدائم الذى نحس به فى

داخلنا ؟

كيف لى أن أحب إن لم أكن حراً ؟ أخبرينى !

كيف لى أن أهبك هذا القلب المتين لو لم يكن قلبى ؟

لا تخافى ، لقد أفلتُّ من بدروسا فى الريف ،

وهكذا سأواصل حتى النصر إلى جانبك ،

أنت التى تقدمين لى حبك ودارك وأناملك .

(**يقبل أناملها**)

مـــــاريـانـا : وشيئاً لا أدرى كيف أقوله ، لكنه موجود !

يالسعادتى معك ! لكننى وإن ابتهجت

يعترينى قلق عظيم ويثير حنقى ؛

أتخيل رجالاً خلف الستائر ،

أن كلماتى تسمع شفيفة فى الطريق .

بـــــــدرو : (**فى مرارة**) أجل ، أى قلق مميت ، أية مرارة !

أى تساؤل مقيم للدقيقة البعيدة !

أى، خريف لا ينتهى كابدته فى ذلك الجبل !

أنتِ لا تتخيلينه !

ماريانا : أخبرنى : أتجشمت خطراً كبيراً ؟

بدرو : كدت أسقط فى يد العدالة ؛

لكن جواز المرور أنقذنى والجواد الذى أرسلته مع

شاب غريب ، لم يقل شيئاً .

ماريانا : **(فى قلق وبلا رغبة فى التذكر)**

وأخبرنى . **(صمت)**

بدرو : لَم ترتعدين ؟

ماريانا : **(فى توتر)** أكمل .. ثم ؟

بدرو : ثم

همت على وجهى فى « البوشرات » .

علمت بأن فى جبل طارق

تنتشر الحمى الصفراء ؛

كان الدخول مستحيلاً

فانتظرت مختبئاً جيداً

والفرصة ها قد سنحت !

سأنتصر بمساندتك ، يا ماريانا القلب !
الحرية .. وإن دققت بيدى المضرجة كل الأبواب *

ماريانا : (مبتهجة) حريتى أن أحظى بك إلى جانبى '
في النظر إلى عينيك فيما ترنو إلى .
حين تكون إلى جانبى أنسى ما بى
وأحب كل الناس ،
حتى الملك وبدروسا .
أحب الصالح والشرير . بدرو ! حين يحب المرء يجاوز الزمن ،
ولا ليل أو نهار هنالك ، بل أنت وأنا !

بدرو : (يعانقها) ماريانا !
مثل نهرين أبيضين من حياء وصمت
هكذا تعانق ذراعيك جسدى المهزوم .

ماريانا : (تعانق رأسه)
الآن قد أفقدك ، أفقد حياتى ،
كمن تعشق بحاراً مجنوناً
يبحر دائماً على ظهر زورق قديم ،
أرقب بحراً معتماً ، بلا قرار أو موج ،
أنتظر أن يأتوا بك غريقاً .

* ما أشبه هذا البيت بيت أحمد شوقى الشهير وللحرية الحمراء باب / بكل يد مضرجة يدق . (المترجم) .

بــــــــــــــــدرو : لا وقت للأوهام .

بل لفتح الصدر لحقيقة إسبانيا الجميلة

القريبة ،

إسبانيا تغطيها السنابل والقطعان ،

ويأكل الناس فيها خبزهم فى بهجة

وسط خلودنا هذا

وهذه العاطفة الحادة من الأفق والسكون ،

إسبانيا تدفن قلبها القديم وتطوه ،

قلبها الجريح ، قلب شه الجزيرة الجوال ،

وينبغى إنقاذها سريعاً بالأيدى والنواجز .

مــــــــاريــانــا : (**فى حمية**) وأنا أول من يطالب بذلك فى

لهفة .

أريد شرفاتى مفتوحة للشمس ،

كى تكتسى الأرض زهوراً صفراء

وأن أحبك ، موقنة من حبك ،

دون أن يترصد لى أحد مثلما فى هذه

اللحظة الحاسمة . (**فى اهتياج**)

لكنى الآن متأهبة ! (**تنهض**)

بـــــــــــــــــدرو : **(فى حماس ، ينهض)**

هكذا تروقنى رؤيتك ، يا ماريانيتا الجميلة !

الآن لن يتأخر الأصدقاء كثيراً .

وينبض هذاالمحيا الشجاع وهاتان العينان

المتوقدتان **(فى حب)**

فوق عنقك الأبيض الذى له لون القمر .

(فى الخارج يبدأ هطول المطر وتهب الريح .

تشير ماريانا إلى بدرو بأن يصمت) .

المشهد السادس

كلابيلا : **(تدخل)** سيدتى .. يبدو لى أنهم يطرقون الباب .

(بدرو وماريانا يتخذان هيئة لا اختلاف فيها .

تتحدث إلى بدون بدرو) .

بدرو : ليحفظك الله !

ماريانا : أتدرين من القادم ؟

كلابيلا : أجل يا سيدتى ؛ أعرف .

ماريانا : الإشارة ؟

كلابيلا : لا أنساها .

ماريانا : قبل أن تفتحى انظرى من العين السحرية الكبيرة .

كلابيلا : سأفعل يا سيدتى .

ماريانا : لا تشعلى أى ضوء ؛

لكن احتفظى فى صحن الدار

بشمعة لحالة الضرورة

وسدى نافذة الحديقة .

كلابيلا : **(ذاهبة)** فى الحال .

ماريانا : كم عدد القادمين ؟

بدرو : قليل ، لكنهم الأهم .

ماريانا : أنباء ؟

بدرو : أجل

بعد لحظات . سنقرر

إذا كنا فى نهاية الأمر سنتمرد .

ماريانا : الصمت !

(تومىء للون بدرو بأن يصمت ، ويصيخان السمع .

فى الخارج ، يسمع أزيز المطر والريح)

ها قد حضروا !

بدرو : **(ينظر إلى الساعة)**

فى موعدهم ،

كوطنيين مخلصين ،

هم رجال من أولى العزم !

ماريانا : أمدنا الله جميعاً بعونه !

: سيعيننا !

بدرو : عساه يفعل لو نظر إلى هذا العالم !

ماريانا (تعبر خشبة المسرح حتى الباب وترفع الستارة الخلفية الكبيرة)

تفضلوا أيها السادة !

المشهد السابع

(يدخل ثلاثة من السادة بعباءات رمادية فضفاضة ؛ أحدهم ملتحى العارضين ، ماريانا ودون بدرو يستقبلانهم بترحاب . يصافح السادة ماريانا ودون بدرو .)

ماريانا : **(تمد يدها للمتآمر(١))**

آه ، ما أشد برودة يدك !

متآمر (١) : **(صريحاً)** الجو شديد البرودة !

ونسيت قفازى ؛ لكن هنا أفضل .

ماريانا : إنها لتمطر حقاً !

متآمر(٣) : **(فى حزم)** محال السير فى السقاطين .

(يخلعون عباءاتهم وينفضون عنها المطر)

متآمر (٢) : **(فى حزن)** يسقط المطر فوق دور غرناطة

كصبقاف زجاجى

متآمر (٣) : ويقبل نهر دارو مترعاً بماء عكر

ماريانا : هل رأوكم ؟

متآمر (٢) : كلا ! أتينا فرادى

حتى مدخل هذا الشارع المعتم

متآمر (١) : أهنالك أنباء بشأن اتخاذ قرارنا ؟

بدرو : سترد الليلة ، بإذن الله .

ماريانا : تحدثوا خفيضاً .

متآمر (١) : (يبتسم) لم يا دونيا ماريانا ؟

الناس كلهم نيام فى هذه اللحظة .

بدرو : أعتقد أننا فى مأمن .

متآمر (٣) : لا تكن متيقناً ؛

فبدروسا ما أنفك يتجسس علىّ ،

ورغم أنى أضلله بفطنتى

لم يزل يترصد لى وربما يعلم شيئاً.

(يجلس بعضهم وبعض آخر لم يزل واقفاً ؛ يؤلفون لوحة جميلة).

ماريانا : أمس ، كان هنا . (يأتى السادة بإيماءة دهشة)

بما أنه صديق لى ...

لم أرد – إذ لم يكن ينبغى لى – أن أرفضه .

امتدح مدينتنا ؛

لكنه ، فيما كان يتحدث إلىّ على نحو شديد الرقة ،

راح يرمقنى بناظريه ... لا أدرى ... كأنما يعلم !

(مشددة)

على نحو نافذ .

ينازل عينى نزالاً مكتوماً ،

لبث هنا طيلة المساء ،

وبدروسا قادر ... على أى شىء !

بدرو : محال أن يتخيل ...

ماريانا : لا أشعر بارتياح كبير ، وأقول ذلك لكم

لنكون بالغى الحذر .

فى الليل ، حين أسد النوافذ ،

يبدو لى أنه يدفع الزجاج .

بدرو : (ينظر إلى الساعة) الحادية عشرة وعشر دقائق .

والرسول لابد أنه على مقربة من هذا الشارع .

متآمر (٣) : (ينظر إلى الساعة) لن يتأخر كثيراً .

متآمر (١) : ليكن بمشيئة الله !

فكل لحظة تلوح لي دهراً !

(تدخل كلاوديلا تحمل صينية عليها أقداح عالية من الزجاج المصقول وقنينة مملوءة بالنبيذ الأحمر . تتركها فوق منضدة صغيرة ، ماريانا تتحدث إليها) .

بـــــــدرو : سيكون الأصدقاء على علم !

متآمر (١) : على علم هم . لا ينقصنا أحد .

كل شيء رهن ما سيخبروننا به هذه الليلة .

بـــــــدرو : الوضع خطر ؛

لكنه ممتاز ، لو أننا أفدنا منه . (تخرج كلاوديلا ، وماريانا تسدل الستارة)

تجب دراسة حتى أقل التفاصيل ،

لأن الشعب يستجيب بلا ريب .

فهواء الأندلس كله مفعم بالحرية .

وهذه الكلمات تعطر أفئدة مدنها ،

من الأبراج الصفراء العريقة

إلى جنوع حقول الزيتون .

وساحل مالقة محتشد

بجموع قررت التمرد :

صيادى الـ« بالو » ،

بحارة وسادة نبلاء .

تتبعنا قرى مثل « نيرخا » ، « بيليث » ،

فى لهفة تنتظر الأنباء .

رجال الجروف وعرض البحر ،

وهم لذلك أحرار بلا منازع .

الجزيرة الخضراء تتحين اللحظة ،

وفى غرناطة ، يغامر سادة من أصل عريق مثلكم

بحيواتهم على نحو مثير .

آهٍ ، لقد عيل صبرى !

متآمر (٣) : كشأن جميع الليراليين .

مــــاريــانــا : (فى حياء) لكن ، أهناك من يتبعكم ؟

بـــــــــدرو : (مقتنعاً) الجميع .

مــــاريــانــا : على الرغم من هذا الخوف ؟

بـــــــــدرو : (جافاً) أجل .

مــــاريــانــا : لا أحد يذهب إلى « ألاميدا دل سالون »

ليتنزه فى هدوء .

ومقهى « النجمة » مقفر .

بـــــــــدرو : (فى حماس) ماريانا ، الراية التى طرزتها

سيطيعها الملك فرناندو ،

وإن شق ذلك على كالوماردى * !

متآمر (٣) : وحين تنفد حيله

سيستسلم للحشود الليبرالية ،

فهو وإن تصنع الضعف والعزلة

لا ريب أنه الآمر الناهى .

ألم يتأخر كثيراً ؟

بـــــــــدرو : (فى قلق) لا أدرى .

متآمر (٣) : وإن كانوا اعتقلوه ؟

* فرانثيسكو تاديو كالوماردى (١٧٧٣ - ١٨٤٢) : وزير العدل بين عامى ١٨٢٤ و ١٨٣٤ . بث الرعب فى صفوف الليبراليين بإجراءات القمع الرهيبة التى اتخذها ضدهم .

متآمر (١) : ليس هذا محتملاً .

فالظلام والمطر يحميانه ،

وهو دائم الترقب .

ماريانا : يأتي الآن .

بدرو : وسنعلم شيئاً في النهاية **(ينهضون ويتجهون صوب الباب)**

متآمر (٢) : مرحباً به لو أنه يحمل أنباء طيبة .

ماريانا : **(في انفعال ، إلى بدرو)** افعل ذلك من أجلي . كن رصيناً ،

فإنني أكاد أختنق .

المشهد الثامن

(يظهر بالباب متآمر (٤) . وهو رجل قوي البنية : فلاح غني ، يرتدي قبعة مدببة ، حافتها من المخمل ومزينة بشرابة من الحرير وسترة مطرزة ، عليها تطريزات من الجوخ بكافة الألوان بالمرفقين والكمين والياقة . السراويل ، ذات ثنايا ، مشدودة بأزرار من

القماش المنقوش ، ويلبس طماقاً جلدياً مفتوحاً من أحد جانبيه وترى من تحته ركبتاه . له بسمت حزين ورجولى عذب . كل الشخوص وقوف على مقربة من باب المدخل . لا تخفى ماريانا قلقها وتنظر تارة إلى دون بدرو وأخرى إلى القادم ، على نحو متألم ومتسائل)

متآمر (٤) : أيها السادة ! دونيا ماريانا ! (يصافح ماريانا)

بدرو : (بصبر نافد) أهنالك أخبار ؟

متآمر (٤) : سيئة مثل الطقس !

بدرو : ماذا جرى ؟

متآمر (١) : (فى غضب) كدت أتنبأ بذلك .

ماريانا : (إلى بدرو) أتحزن ؟

بدرو : وأهل قادش ؟

متآمر (٤) : كل شىء سدى .

علينا أن نأخذ حذرنا

فالحكومة ، فى كل مكان ، تترصدنا .

علينا أن نؤجل التمرد ،

وإلا فالكفاح والموت .

بـــــــدرو : (فى يأس) لا أدرى فيم أفكر ؛

لدى جرح مفتوح ينز فى جنبى ،

وليس فى وسعى أن أنتظر أيها السادة .

متآمر (٣) : (فى شدة) دون بدرو ، إن ننتظر ننتصر!

متآمر (٤) : لا أحد يبغى موتاً بلا نفع .

بـــــــدرو : (فى شدة كذلك) يفوق الانتظار شجاعتى .

مـــاريـانـا : (فى رعب) خفضوا من أصواتكم ! **(تنزع الحجرة)**

متآمر (٤) : إسبانيا جميعها صامتة ، لكنها تحيا !

صونوا الراية جيداً .

مـــاريـانـا : لقد أرسلتها

إلى منزل صديقة مقربة لى ،

هناك فى البيازين ، وإنى لأرتعد،

ربما كانت فى مأمن هنا.

بـــــــدرو : وفى مالقة ؟

متآمر (٤) : فى مالقة الأمر رهيب .

وصمة عار في جبين جونثالث مورينو* ...

فما جرى لا يحكى .

(حالة من الترقب الشديد ؛ وماريانا الجالسة على

الأريكة إلى جانب دون بدرو ، بعد كل ذلك الأداء

الدرامي الذى أدته ، تستمع فى لهفة إلى ما يحكيه

متآمر (٤) .)

توريخوس* ، الجنرال ،

النبيل ، الأغر الجبين ،

مرآة أهل الأندلس ،

الفارس بين الدوقات ،

قلب من الفضة الخالصة ،

قتل على ضفاف مالقة الثائرة ،

أسروه بالمخاتلة

* بيثنتى جونثالث مورينو (١٧٧٨ – ١٨٣٩) : قائد عسكرى موالٍ لحكم فرناندو السابع المطلق وحاكم مالقة العسكرى : خان صديقه توريخوس الذى كان تحالف معه فأوعز إليه بأن يقوم بحملة . إبرار بالقرب من مالقه هو رجاله وعددهم ٥٢ من رجال الجيش ، ثم اعتقلهم ونفذ فيهم حكم الإعدام رمياً بالرصاص فى ١١ ديسمبر ١٨٣١ . ومنذ ذلك الحين ، يطلق عليه لقب « جلاد مالقة » .

* خوسيه ماريا توريخوس (١٧٩١ – ١٨٣١) : قائد عسكرى ليبرالى مناوىء لحكم فرناندو السادس وفرناندو والسابع .

فصدقها ، لسوء طالعه ،

فاقترب ببوارجه راضياً

من الشاطىء .

ويل للقلب النبيل

إن هو بالأشرار وثق !

فما إن وطأت قدمه الرمل

اعتقله الملكيون .

قطعت يد الفيكونت لا بارته ،

قائد المليشيات ،

قبل أن يقدم على تلك النذالة ،

حين جرد توريخوس

من حسامه البهى الذى كان يتقلده ،

بمقبضه الزجاجى المزين بشريطين .

فى بهيم الليل قتلوه ،

وكل من معه .

الفارس بين الدوقات ،

قلب من الفضة الخالصة.

ترتفع غيوم كثيفة

فوق جبل « ميخاس » .

الريح تحرك البحر

وانسحبت السفين

بمجاديفها الحثيثة

وأشرعتها المنشورة .

وسط صخب الموج

تردد دوى الطلقات

فخر صريعاً على الرمل

ينزف من ثلاثة جراح ،

الفارس الشجاع

وكل من معه .

والموت ، مع أنه الموت ،

لم يسلبه ابتسامته .

يبكيه على السفين

جميع البحارة ،

وأبهى النساء ،

متشحات بالسواد والحزن ،

يبكينه من كذلك

أعلى حقل الليمون .

بــــــــبدرو : **(ينهض بعد سماع القصيدة)**

كل صعوبة تزيد من شجاعتى .

أيها السادة ، لنواصل عملنا .

فموت توريخوس يلهبنى

كى أواصل الكفاح .

متآمر (١) : هذا ما أفكر فيه !

متآمر (٢) : لكن علينا أن نهدأ ؛

فى انتظار لحظة أخرى ..

متآمرا (٣) : **(منفعلاً)** لحظة بعيدة !

بــــــــدرو : لكن قواى لن تستنفد .

مــــــاريانا : **(تسر إلى بدرو)** بدرو، مادمت حية ...

متآمر (١) : أنرحل ؟

متآمر (٣) : ليس هنالك ما نفعله . الخق معك .

متآمر (٤) : هذا ما كان علىّ أن أرويه لكم ،

لا شيء غيره .

متآمر (١) : عليكم بالتفاؤل .

ماريانا : أتفضلون كأساً ؟

متآمر (٤) : نقبلها ،

نحن في حاجة إليها .

متآمر (١) : متفقون ! **(ينهضون ويتناولون كؤوسهم)**

ماريانا : **(تملأ الأقداح)** ما أشد المطر !

(في الخارج يسمع وشيش المطر)

متآمر (٣) : دون بدرو حزين !

متآمر (٤) : شأننا جميعاً !

بدرو : حقاً !

ولدينا مبرر للحزن

ماريانا : **(ترفع كأسها)**

يقول الناس في المراكب الشراعية والبوراج ،

هناك ، في البحر المتوسط ،

« إذا نام القمر نهض البحار » .

ونحن ، مثلهم ، علينا أن نكون يقظين دائماً !

(كأنما تحلم)

« إذا نام القمر نهض البحار » .

بـــــــــدرو : (وفى يده الكأس) لتكن نورنا مراكب

(يشربون ، صمت . فى الخارج ، تسمع طرقات بعيدة ، يلبث الجميع وأقداحهم فى أيديهم ، فى سكون عظيم) .

مــــاريانا : إنها الريح ، تسد نافذة . (طرقة أخرى)

بـــــــــدرو : أتسمعين يا ماريانا ؟

متآمر (٤) : من عساه يكون ؟

مــــاريانا : (نهبأ القلق) يا إلهى المقدس !

بـــــــــدرو : (يداعبها) لا تخشى شيئاً . سترين ألا شيء هنالك .

(يضع الجميع أقداحهم وهم فى بالغ القلق)

كــلابيــلا : (تدخل ، تكاد تختنق) آه ، سيدتى ! رجلان ملثمان وبدروسا معهما !

مــــاريانا : (تصرخ ، فى شدة الاضطراب)

بدرو ، اذهب !

وأنتم جميعاً ، بحق العذراء المقدسة ، فى التو !

بـــــــدرو : (متحيراً) هيا !

(كلابيلا ترفع الأقداح وتطفيء الشمعدانات)

مـتـآمـر : لا يجدر بنا أن نهجرها .

مـــاريانـا : (إلى بدرو) أسرع !

بـــــــدرو : من أين ؟

مـــاريانـا : (فى جنون) آه ، من أين ؟

كـلابيـلا : إنهم بالباب !

مـــاريانـا : (وقد واتتها فكرة) من تلك النافذة التى بالممر

بوسعك أن تقفز فى يسر !

فذلك القرميد قريب من الأرض .

متآمر (٣) : لاينبغى أن نتركها وحدها !

بـــــــدرو : (محتداً) علينا أن نفعل !

إذ كيف نبرر حضورنا ؟

مـــاريانـا : أجل ، أجل ، اذهب فى الحال ، انجُ بنفسك !

بـــــــدرو : (فى تلجج) وداعاً ماريانا !

مـــاريانـا : حفظكم الله أيها الأصدقاء !

(يخرجون فى الحال من الباب الأيمن . كلابيلا تطل

من خصاص الشرفة المطلة على الشارع) .

مــــاريانـا : (**بالباب**) بدرو .. ، وأنتم جميعاً ، خذوا حذركم !

(تغلق الباب الصغير الذى إلى اليسار والذى خرج منه المتآمرون ، وتسدل الستارة فيما بعد ، تتخذ سمتاً درامياً)

افتحى يا كلابيلا !

أنا امرأة شدت إلى ذيل جواد . **(تخرج كلابيلا . ماريانا تهرع إلى البيانو)**

إلهى ! تذكر الآمك

وجراح يديك !

(تجلس وتشرع فى عزف أغنية « المُهرِب » (١٨٠٨) للمؤلف الموسيقى مانويل جارثيا*)

مــــاريانـا : **(تغنى)**

أنا الذى حرفتى مهرب

وشيمتى العناد

* مانويل جارثيا (٥ ١٧٧ - ١٨٨٢) : مؤلف موسيقى أشبيلى شهير توفى فى باريس ، وهو والد المغنية الشهيرة ماريا فيليثياس (ماليبران) .

أتحدى الجميع

لأني لا أخشى أحداً ،

آي ، آي !

آي أيها الفتيان ؛ آي ، أيتها الصبايا !

من يشري مني خيطاً أسود

فجوادي متعب

ويقتلني النعاس !

آي !

أي ! ها قد جاءت الدورية

وبدأ إطلاق الرصاص .

آي ، آي ، يا جوادي ،

جوادي الأغر .

آي !

آه ، يا جوادي ، انطلق .

آهٍ ، يا جوادي ، فأنا هالك .

أى !

(يجب أن تغنى بإحساس رائع ووانس وهى تسمع وقع أقدام بدروسا على الدرج) .

المشهد التاسع

(تزاح ستائر الخلفية ، وتظهر كلابيلا مذعورة وبيدها شمعدان ثلاثى ويداها الأخرى على صدرها . يدخل بدروسا فى إثرها ، متشحاً بالسواد ويرتدى عباءة . بدروسا رجل حاد ، شديد الشحوب ، بالغ الهدوء . سيقول عباراته بسخرية جد مغلفة ، وسيدقق النظر فى كل جانب ، لكن بتهذيب . ثقيل الظل . ينبغى أن نتجنب أى تصوير كاريكاتورى له . حين يدخل بدروسا ، تتوقف ماريانا عن العزف وتترك البيانو . صمت) .

ماريانا : تفضل .

بدروسا : (يتقدم) سيدتى ، لا تقطعى من أجلى الأغنية التى كنت فى هذه اللحظة

تقنينها . (صمت)

مـــاريـانـا : (تجرب ابتسامة) كانت الليلة حزينة

فرحت أغنى (وقفة)

بدروســـا : رأيت الضوء فى الشرفة

وشئت زيارتك .

ألتمس العذر لو أنى أعطلك .

مـــاريـانـا : أشكرك جزيلاً .

بدروســـا : ما أشد المطر !

(وقفة . فى هذا المشهد ، ستكون ثمة وقفات غير ملحوظة وفترات صمت مبالغة تتصارع خلالها نفسا الشخصيتين صراعاً يائساً . وهذا المشهد شديدة الوعورة من حيث الأداء ، فلا ينبغى الانزلاق فى مبالغات تضر بالإحساس . وفى هذا المشهد ، يجب أن يكون المهم ما يسكت عنه لا ما يقال . والمطر الذى سيحاكى على نحو خفيض وبلا صوت مبالغ فيه سيملأ أحياناً فترات الصمت) .

مـــــاريانـا : **(بنبرة معينة) هل الوقت تأخر ؟**

بـدروســــا : **(يحدجها ببصره ، وبنبرة ما كذلك)**

أجل ، تأخر جداً

فساعة المحكمة منذ برهة

دقت الحادية عشرة .

مـــــاريانـا : **(فى وداعة ، تشير إلى بدروسا بأن يجلس)**

لم أسمعها .

بـدروســــا : **(يجلس)** لقد سمعتها من بعيد .

جئت من توى الشوارع الساكنة ،

غارقاً فى ماء المطر حتى عظامى ،

أقاوم تلك الرياح الرهيفة والباردة

التى تهب من قصر الحمراء .

مـــــاريانـا : **(بنبرة ما ومتمالكة نفسها)**

الهواء البارد

الذى يرشق إبراً فوق الرئتين ،

ناحية القلب .

بـدروســــا : **(يرد إليها السخرية)**

أجل ، هو نفسه .

أؤدى مهام منصبى الشاق .

فيما أنت ، ياماريانا الجميلة ،

فى منزلك ، فى مأمن من الرياح ،

تخيطين الدانتلا .. أو تطرزين ..

(كأنما يتذكر)

لا أدرى من قال لى

إنك تحسنين التطريز ؟

ماريانا : (**مذعورة ، لكن فى شىء من رباطة الجأش**)

أفى ذلك أثم ؟

بدروسا : (**يومىء بالنفى**) مولانا الملك ، حفظه الله ،

(**ينحنى**)

تسلى بالتطريز فى فالنسى

مع عمه الأمير أنطونيو .

ما أجملها من هواية .

ماريانا : (**من بين أسنانها**) يا إلهى !

بدروسا : أباغتك زيارتى ؟

ماريانا : (تجرب ابتسامة) كلا !

بدروسا : (صارماً) ماريانا !

امرأة فى مثل حسنك ،

ألا ينتابها خوف من حياة بهذه الوحدة ؟

ماريانا : خوف ، مطلقاً !

بدروسا : (بنبرة ما) من كثرة الليبراليين .

والفوضويين فى غرناطة

لا يحيا الناس فى بالغ الأمان . (حازماً)

من المؤكد أنك تعلمين ذلك !

ماريانا : (فى عزة) يا سيد بدروسا !

أنا امرأة لا أبرح منزلى ولا شىء أكثر !

بدروسا : (يبتسم) وأنا قاضٍ. لذا أهتم بهذه الأمور .

ألتمس العذر يا ماريانا .

لكى لى ثلاثة أشهر أكاد أجن

لعجزى عن ضبط زعيم ...

(وقفة . ماريانا تحاول الإنصات وتعبث بخاتمها ، تكبح جماح قلقها وسخطها .)

بـدروســــــا : (كأنه يتنكر ، فى برود) شخص يدعى دون بدرو دى

سوتومايور .

مــــاريانا : قد يكون خارج إسبانيا .

بدروســــــا : كلا ؛ وإنى لآمل أن يسقط قريباً فى قبضة يدى .

(حين تسمع ذلك ، تعترى ماريانا إغماءة عصبية خفيفة

كافية كى يسقط الخاتم من يدها ؛ أو - على الأحرى

- هى نفسها تلقى به كى تتجنب الحديث) .

مــــاريانـــا : (تنهض) خاتمى !

بـدروســــا : سقط ؟ (بنبرة معينة)

خذى حذركِ .

مــــاريانـــا : (فى توتر) إنه خاتم زواجى ؛ لا تتحرك ،

فقد تطؤه . (تبحث عنه)

بـدروســــا : حسنٌ .

مــــاريانـــا : يبدو .

أن يداً خفية اقتلعته .

بـدروســــا : اهدئى . (فى برود) انظرى .

(يشير إلى مكان الخاتم ، فى نفس الوقت الذى يتقدم

فيه كلاهما)

إنه هنا !

(تنحنى ماريانا لتلتقطه قبل بدروسا ؛ وبدروسا يقف إلى جانبها وفى لحظة نهوض ماريانا يلتصق بها فى سرعة ويقبلها)

مـــاريانـــا : **(تطلق صرخة وتبتعد)** بدروسا !

(وقفة . ماريانا تجهش بالبكاء ساخطة)

بـدروســـا : سيدتى ، ماريانا ، اهدئى !

مـــاريانـا : **(ثائرة فى يأس وتأخذ بتلابيب بدروسا)**

فيم تفكر بشأنى ؟ أخبرنى !

بـدروســـا : **(بلا تأثر)** فى أشياء كثيرة !

مـــاريانـا : حسنٌ ، بوسعى أن أقهرها . ماذا تريد ؟

اعلم أننى لا أخشى أحداً .

أنا طاهرة كالماء الذى يولد ،

وقد ألوث إذا مسستنى ؛

غير أنى أعرف كيف أدافع عن نفسى ، اخرج فى الحال !

بـدروســـا : **(بحدة وفى ذروة غضبه)** صه !

(وقفة . ثم فى برود)

أريد أن أكون صديقاً لك .

أحرى بك أن تشكريني لهذه الزيارة .

ماريانا : (متنمرة) أيبو يسعى السماح لك بأن تسبني ؟

وأن تتسلل ليلاً إلى منزلي

لكي ... ، أيها الوغد ! .. لا أدرى كيف .. **(تتمالك نفسها)**

أنت تبغى هلاكي !

بدروسا : **(فى حرارة)** على العكس !

جئت لأنقذك .

ماريانا : **(فى حمية)** لا أحتاج إليك ! **(وقفة)**

بدروسا : **(فى قوة وتسلط ، يقترب منها بابتسامة لاذعة)**

ماريانا ! والراية ؟

ماريانا : **(فى حرج)** أية راية ؟

بدروسا : التى طرزتها بهاتين اليدين البيضاوين **(يمسك بيديها)**

ضد القانون والملك !

ماريانا : أى خسيس كذبك القول ؟

دروســـــا : **(غير مكترث)** مطرزة على نحو بديع !

هناك ، فى البيازين ، وجدناها ،

وهى الأن فى قبضة يدى كحياتك .

لكن ، لا تراعى ، فأنا صديقك . **(ماريانا تكاد تختنق)**

مـــايانـــا : **(تكاد تسقط مغشياً عليها)**

هذا كذب ، كذب .

بـدروســـا : **(بصوت خفيض وفى تأجج)**

أريدك لى ،

أتسمعين ؟ لى أو ميتة .

طالما ازدريتنى ، لكنى الآن

بوسعى أن أضغط عنقك بيدى ،

هذا العنق الذى هو من الفل الشفيف ،

وستحبيننى لأننى أهبك الحياة .

مــــاريانا : **(رقيقة ومتوسلة وسط يأسها ، تعانق بدروسا)**

كن رحيماً بى ! آه لو تعلم !

دعنى أفر . وسأحفظ ذكراك

فى حدقتى عينى .

بدروسا ، من أجل ولديّ .. !

بـدروســـا : **(يعانقها فى رغبة)**

الراية

لم تطرزيها أنت ، يا ماريانا الجميلة ،

وأنت حرة لأننى أريد ذلك ..

(مـاريانا ، حين ترى شـفـتـيـهـا قـريبـتين من شـفـتى

بدروسا ، ترفضه وتتصرف بتوحش) .

مــاريانـــا : لن يحدث هذا أبداً ! دون ذلك دمى !

قد أتألم لكن بشرفى .

اخرج من هنا .

بـدروســـا : (**يعنفها**) ماريانا !

مــاريانـــا : اخرج فى الحال !

بـدروســـا : **(فى برود وتحفظ)**

حسن جداً ! سأتابع هذا الأمر

وأنتِ نفسك تتسبين فى هلاكك .

مــاريانـــا : فيم يهمنى ؟

طرزت الراية بيدى ؛

بهاتين اليدين ، انظر إليهما يا بدروسا !

أعرف سادة كباراً

كانوا يحاولون رفعها فى غرناطة .

لكننى لن أبوح بأسمائهم !

بدروسا : بالقوة ستبّوحين ! فالحديد شديد الإيلام

والمرأة هى دائماً المرأة !

متى شئت أبلغينى !

ماريانا : جبان !

لن أتكلمْ وإن رشقوا قلبى بالزجاج !

(فى سورة غضبها)

بدروسا ، هأنذا !

بدروسا : سنرى !

ماريانا : كلابيلا ، الشمعدان !

(تدخل كلابيلا فى ذعر ، تشبك يديها فوق صدرها)

بدروسا : لا داعى هنالك يا سيدتى .

ألقى القبض عليك باسم القانون .

ماريانا : باسم أى قانون ؟

بـدروســـــا : (فى برود واحترام) طابت ليلتك ! (يخرج)

كـــلابيـــلا : (فى درامية) آه ، بسيدتى ؛ طفلتى ، قرنفلتى ، حبيبة القلب !

مـــاريانـــــا : (فى شدة الكرب والذعر) إيسابل ، إنى ذاهبة . أعطينى الشال .

كـــلابيـــلا : انجى بنفسك فى الحال !

(تطل من الشـــرفـــة . فى الخـــارج ، يســـمع من جـــديد صوت المطر المنهمر)

مـــاريانـــــا : سأذهب إلى منزل دون لويس ! اعتنتى بالطفلين !

كـــلابيـــلا : إنهم واقفون بالباب ! لا يمكنك !

مـــاريانـــــا : بالطبع ! (تشـــيـــر إلى الموضع الذى خـــرج منه المتآمرون) من هنا !

كـــلابيـــلا : محال ! (حين تعبر ماريانا خشبة المسرح تظهر دونيا أنجوستياس)

أنجوستيـاس : ماريانا إلى أين ؟ طفلتك تبكى .

يتنابها خوف من الهواء والمطر .

مـاريانـا : (تلتفت) أنا حبيسة ! أنا حبيسة يا كلابيلا !

أنجوستياس : (تعانقها) ماريانيتا !

مـاريانا : (تتهالك على الأريكة)

الآن يبدأ موتى ! (تعانقها المرأتان)

انظرى إلى وابكى . الآن بدأ موتى !

ستار سريع

اللوحة الثالثة

(دير القديسة مريم المصرية ، فى غرناطة ، مظاهر عربية ، أقواس ، أشجار سرو ، نافورات ، رياحين . ثمة مقاعد وكراس جلدية قديمة .

عندما يرفع الستار تكون خشبة المسرح خالية ، يسمع عزف الأرغن وأصوات الراهبات من بعيد . من خلفية المسرح تقترب الراهبتان (١) و (٢) (وهما راهبتان مبتدئتان تحت التثبيت) مهرولتين على أطراف أصابعهما وتتلفتان هنا وهناك حتى لا يراهما أحد . تقتربان فى حذر بالغ من باب إلى اليسار ، وتنظران من ثقب الباب .

المشهد الأول

راهبــة (١) : ماذا تفعل ؟

راهبــة (٢) : (تنظر من الثقب) خفضى صوتك !

إنها تصلى .

راهبــة (١) : دعينى ! (تنظر هى أيضاً)

ما أشد بياضها ، ما أشد بياضها !

يشرف رأسها

فى ظلمة الحجرة .

راهبــة (٢) : يشرق رأسها ؟

لا أفهم شيئاً .

إنها لا مرأة صالحة ،

ويريدون قتلها .

وأنتِ ، ماذا تقولين ؟

راهبــة (١) : وددت

لو أرنو إلى قلبها

زمناً طويلاً وعن كثب .

راهبــة (٢) : ما أشجعها من امرأة !

حين جاءوا أمس يقرأون عليها الحكم بالإعدام

لم تخف ابتسامتها .

راهبــة (١) : فى الكنيسة

رأيتها فيما بعد تبكى

ولاح لى أن قلبها

بلغ حنجرتها .

ماذا فعلت ؟

راهبــة (٢) : طرزت راية .

راهبــة (١) : أفى التطريز أثم ؟

راهبــة (٢) : يقولون إنها ماسونية .

راهبــة (١) : وما معنى هذا ؟

راهبــة (٢) : حسن .... لا أدرى !

راهبــة (١) : لم سجنت ؟

راهبــة (٢) : لأنها لا تحب الملك .

راهبــة (١) : وفيم يهم ذلك ؟ أليس غريباً ؟

راهبــة (٢) : ولا الملكة !

راهبــة (١) : أنا كذلك لا أحبهما (**تنظر**)

آه ، ماريانا بينيدا !

تتفتح الآن زهور

ستذهب معك إلى القبر .

(تظهر بباب الخلفية « الأم » كارمن دى بورخا)

كـــارمـــــن : لكن ، أيتها الصبيتان ، إلام تنظران ؟

راهبــة (١) : (**مذعورة**) الأخت ....

كـــارمـــــن : ألا تخجلان ؟

اذهبا فى الحال إلى العمل .

من علمكما هذه العادة القبيحة ؟

سأراكما لاحقاً !

راهبــة (١) : ائذنى لى !

راهبــة (٢) : ائذنى لى !

(تذهبان . حين تتأكد « الأم » كارمن من أن الأخريين ذهبتا ، تقترب هى أيضا فى حذر وتنظر من ثقب المفتاح) .

كـــارمـــــن : هى برئية ! بلا ريب !

تمتنع عن الكلام فى حزم !

لمه ؟ هذا ما لا أفهمه . **(فى فزع)**

إنها قادمة ! **(تهرول مبتعدة)**

المشهد الثانى

(تظهر ماريانا فى رداء أبيض رائع ، بالغة الشحوب) .

ماريانا أختاه !

كارمن : **(تلتفت)** فيم ترغبين ؟

ماريانا : لا شيء !

كارمن : قولى ما شئت يا سيدتى !

ماريانا : كنت أفكر ..

كارمن : فيم ؟

ماريانا : لو أن بمستطاعى

البقاء ها فى بيت العبادة

دوماً .

كارمن : كم سنسعد لذلك !

ماريانا : لا أستطيع !

كارمن : لمه ؟

ماريانا : تبتسم) لأننى ميتة .

كارمن : (فى فزع) دونيا ماريانا ، باسم الرب !

ماريانا : لكن العالم يسعى إلىّ ،

الحجر ، الماء ، الهواء .

أدرك أننى كنت عمياء !

كارمن : سيعفون عنك !

ماريانا : (هادئة) سنرى !

هذا الصمت يثقلنى ، سحرياً .

يتعاظم

كسقف من زهور البنفسج ، (فى حماس)

وفى أحيان أخرى ، ينفحنى

شعراً طويلاً .

آهٍ ، ما أجمله من حلم !

كارمن : (تمسك بيدها) ماريانا !

ماريانا : كيف تريننى ؟

كارمن : فى غاية الصلاح .

ماريانا : أنا آثمة كبيرة ؛

لكننى أحببت إلى حد

أن الله سيغفر لى ،

كما غفر للقديسة ماجدولين .

كـــارمـــن : خارج العالم وداخله

يغفر الذنوب .

مـــايانـــا : آه لو علمتِ !

أمور الدنيا

أصابتنى فى مقتل يا أختاه !

كـــارمـــن : الرب مثخن بجراح الحب

التى لا تندمل أبداً .

مـــاريـــانـــا : يولد من يموت متألماً ،

أدرك أننى كنت عمياء !

كـــارمـــن : **(حزينة لرؤية الحالة التى عليها ماريانا)**

إلى الملتقى ! أتحضرين

هذا المساء الصلاة التساعية ؟

مـــاريـــانـــا : كالمعتاد . إلى اللقاء يا أختاه ! **(كارمن تذهب)** .

المشهد الثالث

(ماريانا تهرول نحو خلفية خشبة المسرح ، متخذة شتى صنوف الحذر ، وهناك يظهر أليجريتو ، بستانى الدير ، يضحك دائماً ، بابتسامة عذبة ووادعة . يرتدى زى صياد من تلك الحقبة) .

مـــاريـانـــا : أليجريتو ! ماذا ؟

أليــجــريتـــو : صبراً !

حتى تسمعي الخبر !

مـــاريـنـــا : تكلم فى الحال ، قبل أن يرونا !

أذهبت إلى منزل دون لويس ؟

أليــجــريتـــو : وقالوا لى إنهم

من المحال أن يحاولوا إنقاذك .

بل إنهم لا يقدمون على ذلك ،

وإلا سيقتلون جميعاً !

غير أنهم سيبذلون ما فى وسعهم .

مـــاريـانـــا : (بشجاعة) سيفعلون أى شىء ! أنا متيقنة

إنهم من النبلاء ،

وأنا نبيلة يا إليجريتو !

ألا ترانى هادئة ؟

أليجريتو : هنالك خوف يثير الخوف .

الشوارع مقفرة .

الريح تذهب وتجىء ،

لكن الناس يوصدون عليهم أبوابهم .

لم أجد سوى طفلة

تبكى على باب « القيصرية » * القديمة .

ماريانا : أتحسبهم يتركون

أقلهم ذنباً تموت ؟

أليجريتو : أنا لا أدرى فيم يفكرون .

ماريانا : والأمر الآخر ؟

أليجريتو : (محرجاً) سيدتى ! ...

ماريانا : أكمل حديثك

أليجريتو : لا أود ..... (ماريانا تومىء بنفاد صبر)

* سوق الصناعات اليدوية فى المدينة القديمة ، وهذا الاسم منتشر فى عدة مدن فى الجنوب [illegible]
والشمال والأفريقى . ويرى بعض المؤرخين أنه مشتق مباشرة من « قيصر » ويعنى [illegible]
لأن الإمبراطور جوستينيان منح التجار [illegible] امتياز صناعة وتجارة الحرير

السيد دون بدرو دى بسوتومايور

يرحل عن إسبانيا ، كما قيل لى .

يقولون إنه راحل إلى انجلترا .

دون لويس من ذلك على يقين .

ماريانا : **(تبتسم غير مصدقة وفى درامية ، لأنها فى أعماقها تعلم أنها الحقيقة)**

من قال لك ذلك

يريد زيادة عذابى .

أليجريتو ، لا تصدقه !

ألست لا تصدقه بالفعل ؟ **(مكروبة)**

أليجريتو : **(فى حرج)** سيدتى ، كما تشائين .

ماريانا : سيأتى دون بدرو على جواد كالمجنون

حين يعلم أننى سجنت

لأننى طرزت له رايته .

وإن قتلونى

سيأتى ليموت إلى جوارى ،

قال ذلك لى ليلةً

وهو يقبل رأسى .

سيأتى مثل القديس جرجس

بالماس والماء الأسود

وزهرة عباءته الحمراء المبهرة على جناح الريح .

ولأنه نبيل ومتواضع ،

ولكى لا يراه أحد ،

سيأتى فجراً ،

فى الفجر البارد .

حين يسطع فوق الهواء المعتم

حقل الليمون بالكاد

ويرسم الفجر فوق الموج

زوارق من ظل وحرير .

ماذا تعرف أنت ؟ ما أسعدنى !

لست خائفة ، أفهمت ؟

أليجريتو : سيدتى !

ماريانا : من قال ذلك لك ؟

أليجريتو : دون لويس .

مــــارينـا : أيدرى بالحكم ؟

أليـجـريتـو : يقول إنه لا يصدقه .

مــــاريانـا : (**فى كرب**) حسنٌ ، هو لا يقبل الشك .

أليـجـريتـو : يؤلمنى إبلاغك

مثل هذه الأخبار السيئة .

مــــاريانـا : ستعود !

مــــاريانـا : كما تشائين .

أليـجـريتـو : عد وقل لهم

إنى فى غاية الرضا

ليقينى من أنهم سيجيئون جميعاً

(– وما أكثرهم !) – عند الضرورة .

جزاك الله خيراً !

أليـجـريتـو : إلى الملتقى ! (يخرج)

المشهد الرابع

مـــاريانا : وألبث وحيدة

فيما ترقب شجرة السنط المزهرة

فى البسـتـان مـوتى (**بصـوت مـرتفع ، تتـحـدث إلى البستان**)

بيد أن حياتى هنا

ويهتاج دمى ويرتعد

كشجرة من المرجان ،

وسط موج رهيف .

وحتى وإن وضع جوادك

أربعة أقمار فى الحجارة

وناراً فى نسيم الربيع

الأخضر الرقيق ،

حث الخطى ! تعال وابحث عنى .

فإنى أحس بأنامل

من عظم وطحالب جد قريبة منى ،

تداعب رأسى . (**تتوجه إلى البستان كمن يحدث شخصاً**)

لا يمكنك الدخول ! كلا !

آه ، بدرو ! من أجلك لن يدخل ؛

لكن قيثارة بيضاء ،

جالسة إلى النافورة ،

تعزف .

(تجلس على مقعد وتستند برأسها إلى يديها ، فى الحديقة يسمع صوت قيثارة).

صـــــوت : على حافة الماء ،

دون أن يراه أحد ،

مات رجائى .

(فى الخلفية تظهر راهبتان ، وفى إثرهما بدروسا . ماريانا لا تراهم) .

مـــاريانا : هذه الأغنية تقول

ما لا أود أن أعلمه .

قلب بلا رجاء ،

فلتبتلعه الأرض !

كـــارمن : إنها هنا يا سيد بدروسا .

مــاريانــــا : (ينتابها الذعر ، تنهض ، كأنها عائدة من حلم) من ؟

بـدروســـــا : سيدتى !

(ماريانا تفاجأ به وتند عنها صرخة . تبدأ الراهبتان في السير) .

مــاريانــــا : (إلى الراهبتين) أتتركاننا ؟

كــارمـــــن : لدينا ما نفعله .....

(تذهبان ، فى هذه اللحظات يهيمن على المشهد توتر شديد . بدروسا ، بارداً ومهذباً ، ينظر إلى ماريانا بحدة ؛ وهى ، فى حزن وشجاعة أيضاً ، تواجه نظراته) .

المشهد الخامس

(بدروسا يتشح بالسواد ويرتدى عباءة . يجب إبراز هيئته الباردة)

مــاريانــــا : لقد تنبأت بذلك : بدروسا !

بـدروســـــا : هو نفسه ،

الذى ينتظر ، كالمعتاد ، أخبارك .

ها قد آن الأوان ، أليس كذلك ؟

مـاريانـــا : يؤون دوماً أوان الصمت

والعيش البهيج .

(تجلس على مـقـعـد . فى هـذه اللحظة ، وطـوال الفـصـل ، تنتـاب مـاريانا حـالة مـن الهـذيان الرهيف الذى ينفجر فى النهاية)

بدروســـا : أتعلمين بالحكم ؟

مـاريانـــا : أعلمه .

بدروســـا : حسنٌ ؟

مـاريانـــا : (**فى سعادة**) ولكننى أعتقد أنه كذب ،

فعنقى قصير جداً لتنفيذ حكم الإعدام * .

كما ترى . لن يستطيعوا .

فضلاً عن أنه جميل وأبيض

ولن يرغب أحد فى لمسه .

بدروســـا : (**يكمل حديث**) ماريانا !

مـاريانـــا : (**فى حدة**) أتنسى أننى لكى أموت

يجب أن تموت غرناطة كلها ،

* يضمن لوركا هنانفس العبارة التى قالتها ماريانا بينيدا ، الشخصية التاريخية وحين أبلغت بحكم الإعدام .

وأن سادة كبراء

سيهبون لإنقاذى ،

لأننى من النبلاء ،

لأننى ابنة قبطان سفينة ،

من فرسان رهبانية « قلعة رباح » ؟

دعنى وشأنى .

بدروســــا : لن يجرؤ أحد في غرناطة على النظر

حين تمرين فى موكب الإعدام .

فأهل الأندلس يتكلمون ؛ لكن فيما عدا ذلك ..

ماريانـــا : سيتركوننى وحدى ؛ وفيم يهم ؟

واحد فقط سيأتى ليموت معى ، وهذا يكفى .

لكنه سيأتى لينقذ حياتى !

(تبتسم وتتنفس بشدة وتضع يديها على صدرها)

بدروســــا : (**فى اهتياج**) أنا لا أريد أن تموتى أنتِ ، كلا !

ولن تموتى ، لأنك ستكشفين عن المؤامرة .

أنا على يقين .

ماريانـــا : (**فى حدة**) لن أبوح بشىء ، كما كنت تريد ،

رغم أن لى قلباً

لم يعد يسع مزيداً من الجراح .

سأكون قوية ، صماء إزاء تملقك .

من قبل ، كانت حدقتاك تخيفاننى ،

والآن ، هأنذا أنظر إليك وجهاً لوجه ، (**تقترب**)

وأتحمل ناظريك اللذين يرقبان

الموضع الذى أخبىء فيه هذا السر ،

الذى لن أفشيه لقاء أى شىء فى العالم .

أنا شجاعة يا بدروسا ، أنا شجاعة !

بدروسا : عظيم ! (**وقفة**)

أنت تعلمين . بإمضائى

بوسعى أن أمحو نور عينيك .

وبريشة وقليل من المداد

أجعلك ترقدين فى نوم طويل .

ماريانا : (**فى سمو**) عساه يكون سريعاً من أجل سعادتى !

بدروسا : (**بارداً**) هذا المساء سيحضرون .

ماريانا : (**مذعورة ، تنتبه**) كيف ؟

دروســـــا : هذا المساء !

صدر الأمر بأن تتأهبى لتنفيذ الحكم .

مـــاريانا : **(تهتاج وتحتج على نحو عنيف)**

ذاك محال ! جبناء!

من فى إسبانيا يأمر بمثل هذه الحقارات ؟

أى جريمة ارتكبتها ؟ لم يقتلوننى ؟

أين عقل العدالة ؟

فى راية الحرية

طرزت أعظم حب فى حياتى .

أو ينبغى أن ألبث هنا سجينة ؟

من لى بجناحين شفيفين

كى أحلق بحثاً عنك !

(بدروسا يشاهد برضى نوبة يأس ماريانا المباغتة

ويقترب منها . يتخذ الضوء تدريجياً لون الشفق) .

بدروســـــا : **(قريباً جدا من ماريانا)**

تكلمى فى الحال فيعفو عنك الملك .

ماريانا ، من هم المتآمرون ؟

أنا أعلم أنك صديقة الجميع .

كل ثانية يحدق بك الخطر ،

قبل أن يتلاشى النهار

سيأتون بالشارع ليأخذوكِ .

من هم ؟ وأسماؤهم ، هيا ، أسرعى !

لا يمكنك أن تعبثى بالعدالة على هذا النحو ،

وإلا سيفوت الأوان .

ماريانا : (**فى حزم**) لن أتكلم !

بدروسا : (**ممسكاً بيديها**) من هم ؟

ماريانا : الآن لن أبوح بشىء حقاً . (**بازدراء**)

إليك عنى يا بدروسا ؛ اذهب .

أيتها الأم كارمن !

بدروسا : تطلبين الموت ! (**تظهر الأم كارمن فى بالغ الفزع وتعبر راهبتان الخلفية**)

كارمن : ماذا هنالك يا ماريانيتا ؟

ماريانا : لا شىء .

كارمن : سيدى ، ليس من العدل ..

بدروســـــا : (بارداً ومتسلطاً ، يصوب نظرة صارمة إلى الراهبة ويشرع فى السير)

عمتما مساء . (إلى ماريانا)

سيسرنى كثيراً أن ترسلى فى طلبى !

كــارمـــن : إنها فى غاية الطيبة يا سيدى !

بدروســـــا : (فى غطرسة) لم أسألك .

(يخرج وفى إثره الراهبة كارمن)

المشهد السادس

مـاريـــانـــا : (جالسة على المقعد ، وبنبرة أندلسية درامية ورقيقة)

أتتذكر تلك الأغنية التى كنت أغنيها

وسط أشجار الزيتون فى غرناطة

« آى ، ما أبهى بارجتك ،

أيها القرصان الملكى !

أين بسالتك ؟

فالسفينة ذات الصاريين

تصعد نحوك » (حالمةً)

بين البحر والنجوم

بأية سعادة سأتنزه

متكئةً على شرفة ممتدة من النسيم !

(مكروبة)

بدرو ، خذ حصانك

أو تعال ممتطياً النهار .

لكن أسرع !

فهاهم قادمين لينزعوا حياتى .

ارشق مهما زيك العاتيين . (**تبكى**)

« آى ، ما أبهى بارجتك ،

أيها القرصان الملكى !

أين بسالتك ؟

فالسفينة الشهيرة ذات الصاريين

تصوب نحوك » (**تظهر راهبتان**)

راهبة (ا) : تجلدى ، فالله فى عونك .

كارمن : ماريانيتا ، بنيتى ، استريحى . (**ترافقان ماريانا**)

المشهد السابع

(يسمع رنين ناقوس الراهبات الصغير . فى الخلفية يظهر عدد منهن . يجتزن خشبة المسرح ويرسمن علامة الصليب عند مرورهن بتمثال لعذراء الآلام بالحائط ، قلبها مرشوق بالمدى وتبكى ، التمثال محوط بقوس من الورود الورقية الصفراء والفضية ، من بين الراهبات ، الراهبتان الصغيرتان إ(قبل التثبيت) (١) و (٢) . يلف شجرَ السرو ضوءٌ ذهبى) .

الراهبة (١) : أى صراخ هذا ! أسمعته ؟

الراهبة (٢) : من البستان ؛ كان يسمع

كأنه آتٍ من بعيد .

إينس ، أنا خائفة !

الراهبة (١) : أين ماريانيتا ،

وردة غرناطة وياسمينتها ؟

الراهبة (٢) : إنها تنتظر عريسها .

الراهبة (١) : لكن عريسها تأخر .

الراهبة (٢) : لو أنك رأيتها كيف تنتظر

من شرفة إلى أخرى !

تقول : « لولا الجبال

لرأيته من بعيد ».

الراهبة (٣) : إنها تنتظره بيقين .

الراهبة (١) : وهو لتعاسها لن يحضر !

الراهبة (٣) : ماريانيتا ستموت !

ففى الدار ضوء مغاير !

الراهبة (١) : وما أكثر الطير ! أرأيت ؟

لم تعد تسعه أغصان البستان

ولا الأفاريز ؛

لم أر عدداً كهذا من قبل ،

حين تسمع أجراس برج الحراسة *

وعند الفجر ،

يشدو ويشدو ويشدو

الراهبة (١) : .. وعند الفجر ،

تصحو نسائم وسحب

من الأفنان الباردة

الراهبة (٣) : ... وعند الفجر ،

* برج قصر الحمراء الذى كان يحرس المدينة .

مقابل كل نجم يموت

يولد ناى صغير .

الراهبة (١) : وهى ... أرأيتها

وهى تعن لى مكفنة

حين تحتاز خورس الكنيسة المنخفض

بأرديتها تلك الشديدة البياض .

الراهبة (٢) : أي ظلم !

يقينى أن هذه المرأة خُدعت .

الراهبة (١) : لها عنق رائع

الراهبة (٢) : **(ترفع يديها لا إراديا إلى عنقها)** أجل ، لكن ..

الراهبة (١) : حين كانت تبكى

خيل إلى أنه سينفرط

فى حجرها

(تقترب راهبتان أخريان)

الراهبة

الأولى : أنذهب لمراجعة صلاة البشارة ؟

الراهبة (أ) : حسن !

الراهبة (٢) : لا رغبة لى .

الراهبة

الأولى : كم هى رائعة !

الراهبة (أ) : (تومىء للأخريات فيهرولن صوب خلفية خشبة المسرح) وصعبة !

(تظهر ماريانا من الباب الأيسر، وحين يرينها يبتعدن جميعاً فى مداراة)

ماريانا : (تبتسم) أتهربن منى ؟

الراهبة (أ) : (ترتعد) نذهب إلى ..

ماريانا : (فى حرج) كنا ذاهبات .. كنت أقول .. تأخرنا كثيراً

الراهبة (أ) : (فى سماحة ساخرة) أأنا شريرة إلى هذا الحد ؟

الراهبة (أ) : (مهتاجة) كلا يا سيدتى ! من قال ذلك ؟

ماريانا : ماذا تعرفين أنت يا صغيرتى ؟

الراهبة (أ) : (تومى إلى الأخرى) لا شىء !

ماريانا : لكننا جميعاً نحبك ! (فى توتر) ألا تلاحظين ذلك ؟

الراهبة (أ) : (**فى مرارة**) أشكرك !

(تجلس ماريانا على مقعد ، تضع يداً فوق الأخرى ، منكسة رأسها على نحو بالغ الروعة كمافى حالة انتقال القديسين)

الراهبة (أ) : هيا بنا !

الراهبة (٢) : أه ، ماريانيتا ،

وردة غرناطة وياسمينتها .

التى تنتظر عريسها ،

لكن عريسها تأخر ! (**تذهبان**)

ماريانا : من كان يتخيل ! ..

لكن .. صبراً !

الراهبة

كارمن : (**تدخل**) ماريانا !

أحد السادة ، معه تصريح

من القاضى ، جاء لزيارتك .

ماريانا : (**تنهض مبتهجة**) ليدخل ! أخيراً يا إلهى !

(تخرج الراهبة . ماريانا تتجه ناحية مرآة على الحائط ، وفى هذيانها الرهيف تصلح «بوكليهات »

شعرها وفتحة الصدر)

سريعاً .. كم كنت موقنة !

ينبغى أن أبدل ثوبى :

فهو يزيد من شحوبى .

المشهد الثامن

(تجلس على المقعد ، فى وضع المحب ، تلتفت إلى الجهة التى سيدخلان منها . تظهر الراهبة كارمن ، وماريانا نافدة الصبر ، تلتفت . فى صمت المشهد ، يدخل فرناندو فتبهت ماريانا)

ماريانا : **(فى يأس ، كأنها لا تود أن تصدق ما ترى)** كلا !

فرناندو : **(حزينا)** ماريانا ! ألا تودين التحدث إلى ؟ أخبرينى !

ماريانا : بدرو ! أين بدرو ؟

دعوه يدخل ، بحق الإله !

إنه أسفل ، بالباب !

إنه هناك ! فليصعد !

أنت جئت معه ،

أليس كذلك ؟ أنت طيب القلب جداً .

سيجىءمتعباً ، لكنه سيدخل فى التو .

فـــرنـانـدو : جئت وحدى يا ماريانا . أى علم لى بدون بدرو ؟

مـــاريـانـا : على الجميع أن يعلم لكن لا أحد يفعل !

إذن ، متى يأتى لينقذ حياتى ؟

متى يأتى ليموت إذا كان الموت ينتطرنى ؟

أسيأتى ؟ أخبرنى يافرناندو

فما زال هناك وقت !

فـــرنـانـدو : **(فى حدة ويأس حين يرى حالة ماريانا)**

دون بدرو لن يأتى ،

لأنه لم يحبك قط يا ماريانا

لعله فى انجلترا ،

مع ليبراليين آخرين ،

هجرك أصدقاؤك القدامى جميعهم .

قلبى الفتى وحده معك .

ماريانا ! تعلمى وانظرى كيف أحبك .

مـــاريـانـا : (**مهتاجة**) لم قلت لى ذلك ؟ كنت أعلمه جيداً ،

لكننى لم أشأ قط أن أخبر به رجائى .

والآن لم أعد أكترث ، فرجائى سمعه

ومات هو ينظر إلى عينى محبوبى بدرو .

طرزت الراية من أجله .

تآمرت لأعيش وأحب فكره هو

أكثر من ولدى نفسيهما ومن حبى لنفسى

« أتحب الحرية أشد من حبك لماريانا ؟

إذن ، سأكون أنا نفسى الحرية التى تعبدها ! »

فــــرنـانـدو : أعلم أنك ستموتين ! بعد لحظات سيأتون ليقتادوك .

انجى بنفسك وأخبريهم بالأسماء !

من أجل طفليك ! من أجلى أنا الذى أقدم لك حياتى !

مـــاريـانـا : لا أريد لولدى أن يحتقرانى !

سيكون لولدى اسم ناصع كالبدر !

وسيحملان فى محياهما إشراقاً

لا تمحوه السنون أو الهواء !

فإن وشيت فسيذكر هذا الاسم بخوف

فى كل شوارع غرناطة .

فــــرنـانـدو : (**فى درامية**) محال ! لن يحدث ! لا

يجب أن تحيى !

ماريانا ! من أجل حبى !

مـــاريانا : (**تهذى**) وما هو الحب يا فرناندو ؟

أنا لا أعرف ما هو الحب !

فـــرنـانـدو : (**مقتربا منها**) لكن أحداً لم يحببك مثلى ياماريانا !

مـاريانـــا : (**فى تأثر**) كان ينبغى أن أحبك أكثر من أى شخص

فى العالم ،

لو لم يكن القلب عدونا الأكبر !

أيها القلب ، لم تأمر وتنهى إن لم أُرد ؟

فـــرنـانـدو : آهٍ ، إنهم يهجرونك جميعاً ! تكلمى وأحبينى وعيشى !

مـاريانـــا : (**تبعده عنها**) أنا ميتة يا صديقى الصغير !

وكلماتك تبلغنى عبر النهر الكبير للعالم الذى أرحل

عنه .

أصبحت كالنجمة فوق الماء الغائر ،

آخر نسيم رهيف يختفى فى أشجار الحور .

(فى خلفية المسرح تمر راهبة ، تشبك نراعيها

وتنظر فى قلق إلى المجموعة)

فرنانـــدو : لا أدرى ماذا أفعل ! أى كرب هذا ! إنهم آتون إليك !

لو أن بوسعى الموت لأفتدى حياتك !

ماريانـــو : الموت ! أى حلم طويل ولا ظلمة !

بدرو ، أريد أن أموت

من أجل ما تحيا أنت من أجله ،

من أجل المثل الأعلى المجرد الذى أضاء عينيك

الحرية !! من أجل ألا تنطفىء نارك السامية

أقدم نفسى كاملة .

إلى الأمام ، أيتها الأفئدة !!

بدرو ، أرأيت إلى أين حملنى حبك ؟

ميتة سيكبر حبك لى حتى إنك لن تقوى على الحياة !

(تدخل راهبتان ، تشبكان أيديهما بنفس التعبير المكروب ولا تجرؤان على الاقتراب)

والآن لم أعد أحبك ،

يا ظل جنونى !

كـــارمـــن : (**تدخل**) ماريانا ! (**إلى فرناندو**)

أيها السيد !

اخرج فى الحال !

مـــاريانا : (**فى غم**) دعينى !

كـــارمـن : (**فى جنون**) اذهب ! من أنت ؟

لم أعد أعرف أحداً !

سأرقد فى هدوء!

(تدخل راهبـة أخـرى مـهـرولة ، تكاد تـخـتنق من الخـوف والتـأثر . فى الخلفـيـة مـسـرعـة ويدها على جبهتها)

فــرنـانـدو : (**فى شدة الانفعال**) الوداع يا ماريانا !

مــاريانا : اذهب !

قد جاءوا فى طلبى (**يخرج فرناندو ترافقه راهبتان**)

كحبة رمل

أحس بالعالم بين يدى (**تأتى راهبة أخرى**)

الموت ! لكن ما هو الموت ؟ (**إلى الراهبات**)

وأنتن ! ماذا تفعلن ؟

كم أحس بكن بعيدات !

كـــارمـن : : (**التى تأتى باكية**) ماريانا !

ماريانا : لم تبكين ؟

كارمن

الراهبة : إنهم أسفل يا طفلتى !

الأولى : هاهم يصعدون الدرج !

المشهد الأخير

(تدخل الراهبات جميعهن من خلفية خشبة المسرح . ينعكس الحزن عل وجوههن . تتقدمهن الراهبتان الصغيرتان (١) و (٢) . الأخت كارمن ، على مقربة من ماريانا . كل المشهد سيضاء تدريجياً وحتى نهايته بضوء مبهر وشديد الغرابة كشفق غرناطى . عبر الأقواس وشجر السرو يدخل ضوء وردى وأخضر يتشكل على نحو رائع ، إلى أن يبدو كالأحجار الكريمة . من السقف يهبط ضوء برتقالي خفيف يشتد تدريجياً حتى نهاية المشهد.)

ماريانا : أيها القلب ، لاتهجرنى ! صه !
بجناحٍ إلى أين تذهب ؛ لك أن تستريح أنت أيضا .
جنون طويل من الأنجم ينتظرنا وراء الموت .
أيها القلب ، لا وقت لليأس !

كارمن : أنسى العالم يا ماريانيتا الجميلة !

ماريانا : كم أشعر به بعيداً !

كارمن : لقد جاءوا فى طلبك !

ماريانا : كم أعى ما يبوح به هذا الضوء !
الحب ، الحب ، الحب ووحدة أزلية ! **(يدخل القاضى من الباب الأيسر)**

الراهبة (١) : إنه القاضى !

الراهبة (٢) : سيقتادونها !

القاضى : سيدتى ، حين تشائين ؛
ثمة عربة بالباب .

ماريانا : شكراً جزيلاً . أيتها الأم كارمن ،
أنقذتُ مخلوقات عدة ستبكى موتى .
لاتنسوا ولدى

كارمن : لترعك العذراء !

ماريانا : لكم فؤادى ! إلىّ بباقة زهور ؛
فى ساعاتى الأخيرة أريد أن أتزين .
أريد أن أحس بلمسة خاتمى الصلبة .
وأضل فى زغب طرحتى المطرزة .
« تحب الحرية فوق أى شئ
لكننى أنا الحرية نفسها . أهب دمى ،
الذى هو دمك ودم كل المخلوقات .
لن يُشترى قلب أحد ! »

[تعاونها راهبة فى ارتداء طرحتها . تتجه ماريانا نحو الخلفية . تهتف]

أعى الآن مايقوله العندليب والشجرة .

الإنسان أسير ولاسبيل إلى الحرية .

أيتها الحرية العليا ! الحرية الحقة ،

أضيئى من أجلى نجومك البعيدة .

وداعاً ! كفكفن دموعكن ! [**إلى القاضى**]

هيا ، فى الحال !

كارمن : وداعاً يابنتى !

ماريانا : احكين قصتى الحزينة لمن يمر من الأطفال .

كارمن : لأنك أحببتِ حباً كبيراً سيفتح الله لك بابه .

آه ، ماريانيتا البائسة ! ياوردة بساتين الورود !

الراهبة (أ) : [**تجثو على ركبتيها**] لن ترى عيناك من الآن البرتقال النورانى

الذى سيخلفه المساء على أسطح غرناطة .

[فى الخارج ، يبدأ قرع أجراس بعيدة]

الراهبة الأولى : [**راكعة**] ولن تدركى نسيم الربيع العذب

وهو يهب فى الفجر ليداعب زجاج شرفتك .

الراهبة (٢) : **[تجثو على ركبتيها وتقبل حاشية ثوب ماريانا]**

قرنفلة مايو ! ياقمر الأندلس !

فى الشرفات العليا سيكون عريسك فى انتظارك .

كارمن : ماريانا ، ماريانيتا ، يا صاحبة الاسم الجميل والبائس ،

يبكى الصبية ألمك فى الطريق !

ماريانا : **[وهى تخرج]**

أنا الحرية لأن هذه هى إرادة الحب !

بدرو ! الحرية التى هجرتنى من أجلها .

أنا الحرية التى أدماها البشر !

الحب ، الحب ، الحب ووحدة أزلية !

[قرع أجراس حى ومهيب يطغى على المشهد ، وخورس بعيد من الصبايا يغنى الأغنية ، ماريانا تخرج فى بطء مستندة إلى الراهبة كارمن . تركع الراهبات الأخريات . يغطى ضوءٌ رائع وهذيانى خشبة المسرح . فى الخلفية تغنى الصبايا .]

أوه ، ما أحزن ذلك اليوم فى غرناطة ،

يوم أبكى الحجر ،

لرؤية ماريانيتا تموت على المقصلة

لأنها لم تعترف !

ستـــار بطي

الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز
الإشراف الفنـــى: حســـن كامـــــل



ASI QUE PASEN CINCO AÚOS
MARIANA PINEDA,

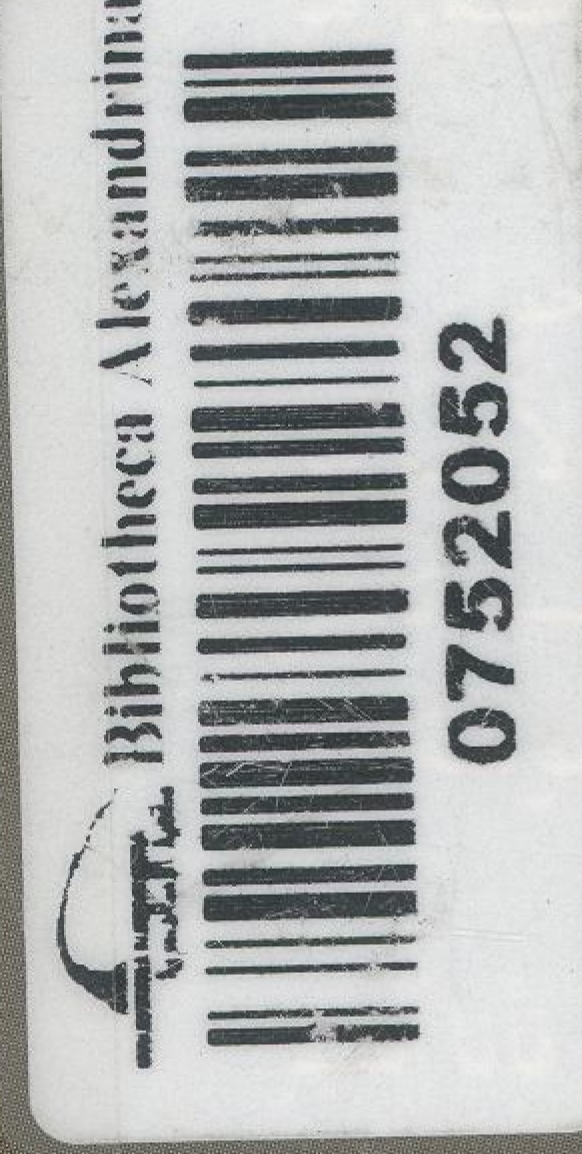
هاتان مسرحيتان للشاعر الكبير فيديريكو غرسية لوركا، حاول فيهما أن ينهل من أكثر من نبع استاطيقى، وتتميز أعماله المسرحية بالتحديد فى أكثر من اتجاه، وهى – رغم بساطة الخط الدرامى – غنية فى مكوناتها المسرحية، وتشتمل على عناصر سوريالية، فهى ثمرة تمثل متعمق لمبادئ عالم لوركا الخصوصى، كما يكرس فى المسرح تقنية "المونولوج الداخلى".

من هنا تتناول مسرحية "حتى تمضى خمس سنوات" تيمة فشل الرجل فى الحب وما يترتب على ذلك من الحرمان العاطفى وعدم الإنجاب.

وتكتسب هذه المسرحية بعدا شاملا من حيث معالجتها للشخوص الدرامية، فهؤلاء، قبل أن يكونوا كائنات حقيقية، فإنهم عصب حى، انفعال بلا وصف جسدى، كما أنهم متصلون بعالم الغريزة والعا حيث كونهم واقعاً متخيلاً وغير فردى.

أما مسرحية "ماريانا بينيدا" فإنها تدور الشخصية التاريخية، التى عاشت فى الثلث القرن الماضى، والتى تحولت إلى سيرة شخص بها الجميع فى شوارع غرناطة، وأصبحت من ذاكرة لوركا منذ صغره:

إن نفسى أسيرة / اطرحى عنك أى خوف العشق / وسأظل ما دمت قيد الحياة.



تصميم الغلاف: محمد بغدادى